# أبو الحسن الخزرجي
# وكتابه العقود اللؤلؤية

د.قحطان رشيد صالح
قسم اللغة العربية كلية التربية
ابن رشد جامعة بغداد

يهدف هذا البحث للتعريف بكتاب تاريخ وأدب ، رصد فيه مؤلفه أبو الحسن الخزرجيّ مرحلة حضارية مزدهرة من تاريخ بلاد اليمن السعيدة أيام حكم بني رسول ، وهو مثال واضح للمؤلفين الروّاد في تنوع معارفهم الأصيلة المتشابكة في التاريخ والأدب والاجتماع ، فقد كان الخزرجيّ علماً من أعلام التأريخ المتأدبين وصاحب عطاء شعري يتناسب ومكانته في عصره ، فضلاً عن محاولات في النقد الأدبي التأثري ، إذ نجد بعض آرائه مبثوثة هنا وهناك من صفحات كتابه الذي آثرنا أن نخصّه بدراسة خاصة لما يتميّز به من جودة في العرض وشمول في المادة العلمية وإشارة للكثير من أعلام الحكم والفقه والشعر والكتابة ، فضلاً عن عرض لمنهج تحقيق الكتاب وقيمته وما قدمناه من ملاحظات متواضعة لهذا التحقيق .

**حياته :**

هو أبو الحسن موفق الدين علي بن الحسن[١] بن أبي بكر بن الحسن بن علي بن وهّاس الخزرجي الزبيديّ . ينتهي نسبه إلى الصحابي قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج. ويقال : إنّ جدّه هو الذي عناه الزمخشريّ بقوله[٢]:

ولولا ابن وهّاس وسابق فضله رعيت هشيماً واستقيت مصرّدا

وإن صحّ هذا ، فذلك يعني أنّه من أسرة فاضلة كريمة ، ذات مكانة اجتماعيّة وعلميّة ، فأبوه كان أحد مصادره في الرواية ، وكان أولاده وبعض أحفاده على حظّ طيّب من العلم والمعرفة[٣] . وربما كانت ولادته في حدود سنة ٧٤٠ هـ أو قريباً منها ، ففي أخباره أنّه مات في زبيد أواخر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وقد جاوز السبعين من العمر[٤] . وقيل كانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة منصرفه من الحج بمدينة حرض[٥] .

كان الخزرجي موضع ثناء كل الذين تعرّضوا لذكره من المؤرخين القدامى والمحدثين ، إذ أشادوا بمكانته أديباً ومؤرخاً ، فالعسقلاني يذهب إلى أنّه " اشتغل بالأدب ففاق أقرانه " ويقول بعد الثناء عليه : " اجتمعت به في زبيد "[٦] وعنه يقول السخاويّ : " اشتغل بالأدب ، ولهج بالتاريخ فمهر فيه " ، وهو من الفقهاء[٧] ، وكذلك لقّب نفسه في رواياته . ويذهب جرجي زيدان إلى أنّه " نسّابة نبغ في

أواخر القرن الثامن من الهجرة "[٨] وعنه يقول الزركلي : " مؤرّخ بحّاثة "[٩] ويشيد به د . شوقي ضيف ، ويذهب إلى أنّه مؤرّخ كبير . ومن كبار الفقهاء والقرّاء والمحدّثين في عصره[١٠].

وكان – كما تشير أخباره – حسن الصلة ، وثيق العلاقة ، شديد الولاء للبيت الرسولي الحاكم ، فهو كثير الإشادة ببني رسول الذين حكموا اليمن ما بين ٦٢٦ / ٦٣٠ – ٨٥٨ هـ ، وبأنّهم من نسب غسّاني يمانيّ ، وكان هذا يدفعه للفخر بأنّهم أبناء بلده وعمومته ، فكلاهما يمتّان إلى أصل واحد ، فغسّان والخزرج من الأزد والأزد من كهلان ، ولهذا قال[١١] :

بهـا ليـل مـن غسـان مـن آل جفنـة فـروعهم فرعـي ونجـرهم نجـري

وليس أدلّ على ذلك مما ذكره الخزرجي في أحداث سنة ٧٨٤ هـ متحدثاً عن وفاة والدة السلطان الأشرف إسماعيل إذ قال[١٢] : " فندبني السلطان – رحمه الله تعالى – للحج عنها والزيارة ، فزودني أربعة آلاف درهم ، ولمّا رجعت من الحج والزيارة سامحني في خراج أرضي ونخلي يومئذ مسامحة مستمرة مؤبدة مستقرة ، جزاه الله عنّي أفضل الجزاء " وفي هذا الندب ، دليل على صلاح أبي الحسن ومكانته الأثيرة لدى السلاطين ، فضلاً عن مسامحته في أموال الخراج ، وربما كانت هذه المكانة وراء هذا الميل الواضح إلى هذه الأسرة والثناء عليها في شعره وفي سرده لأخبارها ، وتخصيص تاريخ دولتها بكتابه " العقود اللؤلؤيّة " والتأكيد على عروبة نسبها ويمانيّة أصلها .

أما مكانته العلمية ، فإنّها تتضح في هذه الجهود التي بذلها في شتّى المجالات ، ومنها تصنيف الكتب التي صارت مصادر غنية للتاريخ اليمنيّ خاصّة ، والإسلامي عامة ، وهي تنبئ عن مقدار حفظه وتتبعه للأحداث : قراءة في كتب سابقيه ، ومشافهة لمن عاصروه . وأخذه العلم عن بعض الشيوخ وأبرزهم المقرئ أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عثمان بن حسن بن شنيبة[١٣]( ٧٥٨ هـ ) إذ نصّ على أنّه فقيه صالح عارف بالقراءات السبع وطرقها ... وأن الخزرجيّ قرأ عليه القراءات السبع إفراداً وجمعاً[١٤] ، وهذا يعني أنّه قرأ عليه وهو في سنّ مبكرة . ومما يؤشر هذه المكانة ، أنّ قاضي القضاة بزبيد مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازيّ أجازه في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته ومصنّفاته[١٥] . ولم يكن الخزرجي مؤرخاً وأديباً فحسب ، وإنما كان فقيهاً ومدرساً لأقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الأشرفي[١٦] . وأخذ عنه المؤرخون كابن الديبع الشيبانيّ ( تنظر قرة العيون ٢ / ١٨ – ٣٣ – ٥٣ – ٦٦ – ٧١ – ٧٤ – ٨٧ – ١٠٥ ) وكابن أبي مخرمة ( ينظر تاريخ ثغر عدن ٦١ – ٦٩ – ١٤٥ – ١٧٠ ... ) والعلامة الفاسي صاحب كتاب ( العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ) الذي عاصره ، وقد أخذ عنه الخزرجي كذلك .

مصنّفاته :

أثرى أبو الحسن الخزرجي المكتبة التاريخية بالكثير من المصنفات التي تتفاوت في غزارة مادتها ومساحتها الزمنية ، واختلاف مسميات بعضها ، وصحة نسبة البعض الآخر له . فله تاريخ كبير على السنين وآخر على الأسماء وثالث على الدول[١٧] .

وهذه المصنفات – كما وصلت إلينا أو ذكرتها مصادر الدارسين – هي :

١- العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك : وهو مخطوطة من ٥١٢ صفحة نسخت في يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ١١٠٣هـ . وتمثل البابين الرابع والخامس فقط من القسم الثاني لكتاب كبير تشمل خطة محتوياته : المقدمة والقسم الأول ، وفيه خمسة أبواب تتناول ذكر الرسول ﷺ والعصور الإسلامية بعده . والأبواب مقسمة إلى فصول . والقسم الثاني وفيه : خمسة أبواب تتناول ملوك مصر والشام وأفريقيا والقيروان والأندلس والمغرب الأقصى وملوك صنعاء وعدن وأمراء زبيد ووزراءها . والأبواب مقسمة إلى فصول كذلك ، والفصول من السادس إلى الثاني عشر من الباب الخامس تروي تاريخ الدولة الرسولية منذ تأسيسها حتى السلطان الأشرف ٨٠٣هـ . وقد تكون للكتاب أسماء متقاربة السياق والدلالة ، فالزركلي في أعلامه يسميه ( العسجد المسبوك في تاريخ الإسلام وطبقات الملوك )[١٨] ، وفي مقدمة الناشر لمصورة وزارة الإعلام والثقافة أسماء أخرى للكتاب وقد زاد بعض النسّاخ على أصل الباب الخامس منه . وللكتاب مخطوطات عدّة منها نسخة الحرم المكّي[١٩] . وهو مرتب حسب السنين والشهور والأيّام أحياناً . ولعله هو التاريخ الكبير الذي مرّت الإشارة إليه آنفاً . وقد نشر شاكر محمود عبد المنعم في بغداد سنة ١٩٧٥م خمسة فصول من الباب الثالث وهو خاص بذكر الخلفاء من بني العباس ، وقد نسب ما نشره للسلطان الأشرف الرسولي[٢٠] وفي مقدمة الناشر أنّ " بعضهم ينسب هذا الكتاب لهذا السلطان ( تـ ٨٠٣هـ ) ، لأن هذا السلطان – كما يقول السخاوي في الضوء اللامع – يقوم بكتابة أصول الكتاب الأولى ثم يدفعها إلى من يتمها ويهذّبها ، فإذا عرضها عليه زاد فيها أو نقص ، والخزرجي معاصر للملك الأشرف ووثيق الصلة به ، وربما كان – كما يقول الناشر – هذا تفسير نسبة بعضهم الكتاب إلى الملك الأشرف .. وإذ نقف عند هذا الموضوع نقول : إن المتتبع لكتابات الخزرجي يجده يكرر رواياته ويوزعها في أكثر من مصنف ، فكثير من رواياته الشعرية والتاريخية في كتابه " العقود " هي هي في كتابه " العسجد المسبوك " بنصها الكامل في الأعم الأغلب ، وبعض رواياته التاريخية خاصة ، مأخوذة من كتاب " السلوك " للجَنَدي ، وقد تطول هذه الروايات وقد تقصر ، وهو في هذا التكرار يحذو حذو بعض السابقين ومنهم أبو منصور الثعالبي ، الذي يعدّ الجزء الأول من كتابه " لباب الآداب " تكراراً لكتابه " فقه اللغة " . والجزء الثاني من اللباب تكراراً لما أورده في كتبه الأخرى مثل : اليتيمة وغرر البلاغة والمنتحل[٢١] ، بل إن مادة " غرر البلاغة " تكرار لما في كتابه " الإعجاز والإيجاز "[٢٢] ولعل

الخزرجي ألف العقود أولاً ، وحين بدا له أن يضع كتاباً شاملاً في التاريخ من بداية العصر الإسلامي إلى أوائل القرن التاسع الهجري ، لم يجد بدّاً من إعادة تاريخ بني رسول( المروي في العقود )

٢- ليتم له استيفاء هذه المادة التاريخية الواسعة . والموازنة بين الكتابين في أكثر من مسألة تؤكد أن الكاتب واحد وأسلوب العرض واحد والجمل الدعائية التي يسوقها المصنف لنفسه واحدة . ولعل الخزرجي كان كالثعالبي يستجيب أحياناً لطلب بعض الحاكمين في وضع كتاب ما تتصل مادته بالأحداث والأعلام ، فلا يجد عذراً لعدم التلبية ، فيضطر لمثل هذا التكرار نتيجة ضيق الوقت أو تداخل الموضوعات . وهي بعد ذلك مروياته ينقل منها ما يشاء ويضعها حيث يشاء . وإذا لم يكن الخزرجي موضع تشكيك في أمانته العلمية ، فليس هناك ما يبرر نسبة كتاب " العسجد " للملك الأشرف ، وأن يكون الخزرجي فيه مهذِّباً له وناظراً ، متفحصاً لمادته . ولو حصل مثل هذا الأمر لذكره الخزرجي نفسه الذي حرص على إظهار علاقته المتينة بهذا السلطان ، ولو صحّ هذا الأمر لأشار إليه مؤرخون متأخرون أخذوا عن الخزرجي كابن الديبع وابن أبي مخرمة . وتعاصر الرجلين ونوع العلاقة بينهما لا تقف سبباً قوياً لما يذهب إليه المتشككون ، صحيح أن أحداث الكتاب تنتهي بوفاة الأشرف سنة ٨٠٣هـ ، وأن الخزرجي أهمل تاريخ ما يقرب من عشر سنين بعده سبقت وفاته هو ، ولكن هذه الملاحظة تنسحب على كتابه الموثوق النسبة إليه " العقود " الذي أنهاه بأحداث شهر ربيع الأول من هذه السنة كذلك ، مطيلاً في ذكر محامد الأشرف ووصف غسله ودفنه والإشارة إلى رثاء جماعة من الشعراء له ، وإثبات قصيدة الفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ في رثائه[٢٣]. ونسبة كتاب " العقود اللؤلؤية " للخزرجي يؤيدها الأصل المخطوط له ، ممثلاً بالنسخة الخطيّة القديمة المودعة في دار كتب ديوان الهند بلندن[٢٤] . ولعله لم يكمل رواية الأحداث حتى سنة ٨١٢هـ – سنة وفاته – بسبب المرض والشيخوخة أو انشغاله بمؤلَّف آخر وما إلى ذلك من مبررات يمكن أن تساق ، وعلى أية حال فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة متأنية ومتابعة لكل مصنفاته وما قد ينسب للأشرف من مؤلفات .

٣- طراز إعلام الزمن في تراجم أعلام اليمن : وهو مرتب على الحروف ابتداءً بأكابر الصحابة والتابعين من أهل اليمن إلى أيامه . وتوجد منه نسخة في " المتحف البريطاني " والجزء الأول منه في مكتبة جامع صنعاء[٢٥] . وقد يسمى " طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن " أو " العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن "[٢٦] . ويعدّهما الزركلي كتابين ، كل عنوان مما تقدم اسم لكتاب مستقل عن الآخر . ويقول جرجي زيدان عنه : " تراجم مرتبة على الهجاء ... اقتبس أكثرها من الجندي " وتوجد منه نسخة في لندن والمتحف البريطاني "[٢٧] .

٤- الكفاية والأعلام في دول اليمن : مرتب حسب الدول ومنه نسخة في لندن[٢٨] . ويقول المرحوم الأكوع : " وينسب إليه كتاب الكفاية والأعلام في من تولّى اليمن من الإسلام " ومنه نسخة في مكتبة

باريس وأخرى في لندن[٢٩] ، ويذكره ثانية تحت اسم : " تاريخ الكفاية والأعلام في من ولي اليمن وسكنها من الإسلام "[٣٠] وفي مقدمة العسجد المسبوك : وينسب للخزرجي كتاب اسمه : ( الكفاية والأعلام في من ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام ) . وهو في تاريخ اليمن ، ورتبه حسب الدول التي حكمت اليمن . ويبتدئ بالباب الرابع في ذكر ملك اليمن وملوك صنعاء وعدن ، رتّبه على عشرة فصول من ظهور الإسلام إلى قيام دولة بني زُريع . والباب الخامس خصصه في تاريخ مدينة زبيد ومن حكمها وأرخ من عصر بني زياد إلى عصر الملك الأشرف إسماعيل الرسولي . وهذا تكرار لما أورده في كتابه " العسجد المسبوك " وهذا يؤكد ما أشرنا إليه فيما تقدم ، في موضوع تكرار الخزرجي لأخباره في أكثر من كتاب.

٥- مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن . وينفرد الزركلي بذكره . وقد تكون مادته تكراراً لما في العسجد كذلك .

٦- ديوان شعره . غير موجود[٣١] .

٦- مجموع رسائله . غير موجود[٣٢] .

٧- قصيدة " الدامغة " رد بها على بعض معاصريه[٣٣] . ولا يعرف ، هل هي ضمن ديوانه المفقود أم أنها نص مستقل ؟

٨- المحصول في انتساب بني رسول : يقول الخزرجي حين يتحدث عن قصيدة الحارث الرائش : " وقد كنت شرحت هذه القصيدة ... في جزء لطيف وسميته " المحصول ... "[٣٤] فهل هذا الجزء ضمن كتاب لم يذكره ، أو أنه يشكل مصنفاً مستقلاً صغيراً ؟

٩- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية – موضوعنا – التعريف بالكتاب : وهو جزءان . ومنه نسخة قديمة مودعة في دار كتب ديوان الهند في لندن ، وقد استنسخه سيرجيمزرد هوس أواخر القرن التاسع عشر ، ثم ترجمه إلى الإنكليزية في مجلدين ووضع له الفهارس ، ورسم خرائط توضح الأماكن التاريخية التي ذكرها الخزرجي في كتابه . ثم أشار البرفوسور أدوارد برون بطبع الكتاب عن نسخة سيررد هومس .

وقد عهد للمرحوم بسيوني عسل تصحيح الكتاب عند طبعه ، فوجد بعد مقارنة النسخة المستنسخة بالأصل المخطوط أن سيررد هومس ترك من الكتاب عند نسخه تاريخ حياة الفقهاء وأرباب الطرق ، فأعيد الطبع اعتماداً على النسخة الأصلية وتمّ ذلك سنة ١٩١١م[٣٥]. وقد توهم جرجي زيدان حين ذهب إلى أن الأستاذ براون هو الذي نقل الكتاب إلى الإنكليزية وصدّر الترجمة في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٠٨م .

يبدأ الجزء الأول من الكتاب بمقدمة الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م في دار الآداب ببيروت ، تحدث فيها المصحح الثاني الأستاذ المرحوم محمد علي الأكوع عن جهوده لإخراج الكتاب إخراجاً محموداً

أتبعها بترجمة موجزة للمؤلف ، ثم مقدمة المصحح الأول ، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك . وهذا الجزء خلا من مقدمة للمؤلف ، كان من المفروض أن يتحدث فيها عن محتويات الكتاب ، ولِمَ وقف في تاريخه عند سنة ٨٠٣هـ ؟ وعن السبب الذي دعاه لتأليفه ، وهل صنّفه استجابة لطلب أحد الحاكمين أو الأعيان ؟ أو أن صلته ببني رسول والتقرب إليهم هو الذي دفعه لتأليف كتاب خاص بدولتهم ؟ وهل كان تأليفه قبل كتابه " العسجد " أو بعده ؟ لنتبيّن السبب في هذا التداخل والتكرار في أخبار الكتابين فيما يتصل بالدولة الرسولية خاصة . وقد قسم الكتاب إلى أبواب وفصول وهو منهج اتبعه في كتابه " العسجد " بشكل أكثر دقّة . ولا نجد في " العقود " البسملة التي بدأ بها " العسجد " بل يبدأ بالباب الأول ، وهو في " ذكر انتساب ملوك بني الرسول وكيف كان السبب في دخولهم اليمن واستقلالهم بالملك فيها " . ولا يذكر بعد هذا العنوان عدد الفصول وإنما يسترسل بالحديث حول هذا الموضوع في أربع صفحات تناول فيها عراقة ملوك حمير وملوك غسّان في المُلك في الجاهليّة والإسلام . وبعدها يأتي فصل بلا ترقيم ، وفيه يواصل الكلام عن هذه العراقة بأقل من صفحتين . وبعده فصل آخر دون ذكر تسلسل كذلك ، يتحدث فيه عن خراب سدّ مأرب ، وبعد صفحتين يعنون بكلمة فصل مرة ثالثة مواصلاً القول في المرحلة التاريخية بعد خراب السد ، وبعد صفحتين ونصف الصفحة يأتي فصل بعنوان : في ذكر ملوك الشام في الجاهلية من غسان ، وهذا الفصل في ثلاث صفحات . وفي فصلٍ تالٍ يزيد قليلاً عن صفحة واحدة يذكر أسماء ملوك غسان ، ثم يتحدث عن آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام في فصل من خمس صفحات . ويتناول آخر فصول هذا الباب وهو في ثلاث عشرة صفحة – تاريخ بني رسول ملوك اليمن في الإسلام ، ويلاحظ أن هذه الفصول تتميز بالقصر ، عدا الفصل الأخير ، وأن تداخل الأحداث فيها يمكن المصنف في دمج بعضها بالبعض الآخر ، مختصراً فصوله ومحققاً الوحدة الموضوعية في الوقت نفسه .

أما الباب الثاني فهو " في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها " وبعد أن يتحدث في صفحتين تقريباً عن اختيار الملك المسعود الأيوبي للملك المنصور عمر الرسولي نائباً عنه في اليمن ، يضع لفظة فصل ، وليس في هذا الباب فصل غيره . وهو يتكون من ثلاث وثلاثين صفحة يخصه بأخبار السلطان المؤسس للدولة حتى مقتله في الجَنَد سنة ٦٤٧هـ . ويعد المصنف أمر السلطان الأول عمر بضرب السكة على اسمه ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له في سائر أقطار اليمن سنة ٦٣٠هـ ، هو البداية الحقيقية لقيام الدولة الرسولية ليؤكد صدق نبوءة الحارث الرائش حين قال في قصيدته الميمية[٣٦]:

ويظهر رايةُ " المنصور " فيهم على خاءٍ مخففةٍ ولام

فهو إذن باب من فصل واحد ، وقد كان بإمكانه جعله في فصلين : فصل للحديث عن إنابة الملك المسعود للملك المنصور ، وفصل ثانٍ عن استقلال المنصور الرسولي بحكم اليمن حتى وفاته ،

أو الاكتفاء بالباب دون الفصل . ونجد المؤلف بعد هذا الباب ، يخصص باباً لعهد كل سلطان دون تقسيم الأبواب إلى فصـــول . فالباب الثالث : في أخبار الدولة المظفرية وفتوحها ، ويريد يوسف المظفر بن عمر الذي يلقبه بالخليفة . والباب الرابع في ذكر الدولة الأشرفية الصغرى . والباب الخامس : في ذكر دولة المؤيد وما كان فيها ، وبه يتم الجزء الأول ، وهو في تسع وخمسين وثلاثمائة صفحة . ويتناول المصنف في كل باب الأحداث العامة ومآثر كل سلطان ، وشيئاً عن سيرته وصفاته ومجالسه ، والترجمة لمن يموت من الأعيان ورجال الدولة والفقهاء . ولأنه كان يسرد أخباره حسب النظام الحولي ، فقد عزف عن تقسيم الأبواب إلى فصول .

ويبدأ الجزء الثاني – وهو في اثنتين وستين ومائتي صفحة – بمقدمتي المصححين ، ثم يأتي الباب السادس : وهو في ذكر أخبار الدولة المجاهدية . وبعده الباب السابع : في ذكر قيام الدولة الأفضلية ووقائعها ، ثم الباب الثامن : في ذكر قيام الدولة الأشرفية الكبرى وبعض أيامها . وهذا الباب طويل تجاوز مائة وأربعين صفحة على الرغم مما يبدو أنه إشعار باختصار ذكر الأحداث إذ نص على " بعض أيامها " . وهذه الأبواب الثمانية تتكرر – مع شيء من الاختلاف في كتابه " العسجد المسبوك " ولكنه يجعلها فيه سبعة فصول ضمن الباب الخامس من " العسجد " إذ إنه يختصر الباب الأول من أبواب " العقود " ويدمجه مع الباب الثاني منه جاعلاً من بابي " العقود " هذين ، الفصل السادس من " العسجد " تحت عنوان طويل هو[٣٧] : في ذكر الدولة الغرّاء الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني – ويريد بهذه النسبة سكن أسرة آل رسول في بلاد التركمان – وهكذا الأمر في الفصول الأخرى التي تنتهي بالفصل الثاني عشر ، وهو : في ذكر الدولة الأشرفية الكبرى ، دون أن يذكر ما قاله في " العقود " : " وبعض أيامها " .

الخزرجي الراوية

هذه الكتب التي مرّ وصفها ، والتي قام الخزرجي بتصنيفها ، شهود صدق على غزارة محفوظه ، وجمّ عطائه : راوية وأديباً ، وأن عنايته امتدت إلى تاريخ بلده اليمن خاصة ، فوثقه في أكثر من كتاب ، وإلى التاريخ الإسلامي بشكل عام . والخزرجي الراوية يقترب في سرده للأحداث من منهج الجَنَدي في كتابه " السلوك في طبقات العلماء والملوك " سواء من حيث اتجاهات هذه الأحداث وأنواعها ، أم ذكره للعادات والرؤى والكرامات ، أم بعض تعليقاته على القصائد والمقطوعات الشعرية ، أم ضبط أسماء الأعلام والأماكن . وقد سبق المؤرخ الطبري الاثنين في هذا المنحى . نعم أخذ الخزرجي عن الجندي الكثير ولكنه أخذ عن غيره كذلك . وتلك سنة المصنفين في شتى ألوان المعرفة . فالمؤرخ ابن الأثير يعترف بأخذه عمن سبقوه وخاصة الطبري ، وفعل هذا الخطيب البغدادي عند وضعه لكتابه " تاريخ بغداد " ومثل هذا فعل مصنفو كتب الأمثال والمعاجم وكتب الآداب العامة .

لقد أخذ الخزرجي عن رواة معروفين كثيرين لهم تصانيف منشورة . وحين يعود الدارس لبعض مؤلفات هؤلاء يجدهم ينسبون أخبارهم لرواة ثقات ، وأن مقابلة بعض ما ذكره الخزرجي لا يختلف كثيراً عما سرده هؤلاء في تصانيفهم . وفي مقدمة هؤلاء – كما أسلفنا – القاضي بهاء الدين الجندي . والمقارنة بين كتاب " العقود " وكتاب الجندي " السلوك " توضح مقدار الأخذ ونوع الموضوعات التي ذكرها . ويقرب ما أخذه عنه من خمسين رواية ( ينظر في العقود على سبيل المثال ١ / ٣٨ – ٥٤ – ٦١ – ٧١ – ١١٧ – ١٢٠ – ٢ / ١٦ – ١٨ – ٣٧ – ٤٠ ) ويتباين أخذه عن الآخرين من رواية واحدة إلى سبع روايات ، وأبرز هذه المصادر " العقد الثمين " للفاسي ، ينظر العقود ١ / ٦٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ . و " تواريخ الأمم " لحمزة الأصفهاني " العقود " ١ / ٢٤ – ٣١ " والعقد الغالي الثمين ١ / ٤٦ ، ٦٤ ، ١٩٦ والسيرة المظفرية ١ / ٣٧ ، ٥١ ، ١٨٥ والكتابان للأمير بدر الدين اليامي . و " التيجان في ملوك حمير " رواية ابن هشام المعافري ( ١ / ٢٢ – ٣١ ) و " مرآة الجنان " لسبط ابن الجوزي ( ١ / ٤٧ ) . كما روى عن ابن قتيبة ( ١ / ٢٥ – ٢٦ – ٢٨ – ٢٩ ) والمسعودي ( ١ / ٢٩ ) والحافظ الذهبي ( ١ / ١٢٦ ) ، و " بهجة اليمن " لابن عبد المجيد ( ١ / ٢٩٠ – ٣١٢ – ٣١٤ – ٢ / ١٣ ) وآخرين ، فضلاً عن دواوين بعض الشعراء ( ١ / ١١٧ ) .

وتشكل معلوماته الخاصة مصدراً رئيسياً من مصادر الأخبار والأحداث والنصوص الشعرية والنثرية التي رواها في كتاب " العقود " ناسباً ما يرويه لنفسه . وهو في هذا الضرب من الرواية يسلك طرائق مختلفة ، ولكنها تتكرر على صفحات الكتاب ، من ذلك قوله عند إسناد النص : قال علي بن الحسن الخزرجي ( ١ / ٧ – ٣٦ – ٤٨ – ٥١ – ٨٧ ) وقد يتبع ذلك بقوله " تجاوز الله عنه " ( ١ / ٢٠ ) أو قال علي بن الحسن عامله الله بإحسانه ( ١ / ٢٧ – ٣٠ – ٣١ – ٣٤ ) ويكرر مثل هذا النهج في كونه مصدر المعلومات بعبارة : قال المصنّف رحمه الله (١/٩٨ – ٢٣٢ – ٢٣٩ ) وقال المصنف أيده الله (١ / ٣٢٠) وقد يقول : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني من أثق به من حفاظ الأخبار (١/٢٤٤) . و كثيراً ما يروي نصوصاً شعرية عقب سرده لبعض الأحداث مباشرة ، وهذا يعني نسبة رواية هذا النصوص لنفسه ومن حفظه ( ١/١٤٤ – ١٤٦ – ١٦١ – ١٧١ – ٢٢٩ – ٢٣٥ – ٣١٢ ) وفي مواضع كثيرة أخرى .

ولكنه في روايات أخرى يذكر عمن سمع ومن أخبره بهذا الحدث أو ذاك ، من ذلك : قال علي بن الحسن الخزرجي : وحدثني والدي رحمة الله ... (٢ / ٣٣) وقال علي بن حسن الخزرجي : وحدثني حسين بن عبد الله بن منصور ، قال : حدثني حسن بن موسى بن معلان عن جارية يقال لها : نخبة من جواري مولاتنا جهة صلاح والدة السلطان الملك المجاهد ، وكانت ممن في الحصن أيام الحصار ، قالت ... (٢ / ٢٧) وهكذا تمت حلقات الإسناد بين الخزرجي وشاهدة العيان . ومن ذلك : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني الفقيه إسماعيل بن علي بن ثمامة – وكان من نقلة الأخبار

. . . ( ٢ / ٥٩ ) وتنظر في سيرة هذا الفقيه فتجده حسن السيرة ، كامل القضاء مبارك التدريس ، وكان يسمى البكاء لأنه سريع العبرة (٢ / ٢٢٧) ومن هذا اللون في الإسناد ، قال علي بن الحسن الخزرجي : أخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد قال : كتب إليّ السلطان الملك الأشرف كتاباً ( وأوقفني على كتابه إليه ) (٢ / ١٨٩) ونلاحظ أن المصنف يؤكد صلاح الراوية وإطلاعه على نص الكتاب إمعاناً في الدقة وسلامة الخبر . ومن هذا الضرب كذلك ، قال على بن الحسن الخزرجي : أخبرني الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف ، المتولي زبيد يومئذ قال : أخبرني الفقيه تقي الدين عمر بن أحمد بن عبد الواحد قال : أخبرني بعض الرعية الثقات أنه رأى ... ( ٢ / ٢٤٠ ) والخبر تام السلسلة ، وأن الشرف هذا كان والياً محبوباً حسن السيرة ، ويكرر المصنف عنه الرواية (٢ / ٢٤٠) وله ، أخبرني الفقيه علي بن محمد الناشري ، قال : أخبرني بعض المسافرين ... ( ٢ / ٢٥٨ ) ويأخذ عن ثانية قائلاً : حدثني الفقيه أبو الحسن علي . .. (٢ / ١٨٥) ويكرر المصنف الأخبار عنه (٢ / ٢٣٦) والفقيه الناشري ممن درسوا في الجامع المبارك وقد مدحه الخزرجي بشعره (٢ / ١٧٢) . ومن هذا الإسناد المتكامل قوله : أخبرني الفقيه محمد بن إبراهيم الصنعاني قال : أخبرنا شيخنا الفقيه العلامة نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي ، قال : حدثني القاضي شرف الدين أبو القاسم بن عبد الرحمن الأشرفي إنه قال : وجد ورقة مكتوبة ... إلى آخر الخبر (١ / ٢٤٥) ونظير هذا قوله : أخبرني الفقيه الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي ، وكان ممن يختص به السلطان المجاهد قال أعطاني السلطان المجاهد ... (٢ / ١٠٥) .

وقد يعمم في ذكر الرواية دون تحديد سنده ، فيكثر عنده القول : أخبرني من أثق به (١ / ١٢٥ – ٢٤٢) واتق المؤرخون جميعاً (١ / ٣٥) ، وقال علماء السير والأخبار (١ / ٢٥١ ) ويقول بعض الأنصار (١ / ٢١) وذكر بعض الإخباريين (١ / ٢٩) ، وفي بعض التواريخ ... (١ / ٣٠ ) وحكى بعض تلامذته (١ / ٦٥) .

وربما صدر خبره بـ " يقال " ( ١ / ١٠٥) و" قالوا " (٢ / ٥٩) و " روي " (١ / ١٠٤) و " يروي " ( ١ / ٤٩ – ٥١ – ٥٢– ٦٠– ومواضع كثيرة أخرى ) و " يحكى " ( ١ / ٥٢ – ١٣٨ ) وعندئذ يتوقف قبول الرواية على مبلغ الثقة بالخزرجي نفسه .

ومما يتصل بهذا الموضوع أمران ، أولهما : أن الخزرجي قد يذكر الخبر – أو بعضه – من مصدرين تحرياً للدقة ، كالذي نقله عن صاحب ( السيرة المظفرية ) بشأن وفاة الناصر أيوب بن طغتكين ليلة الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة عشر و ستمائة ثم عقب به " قال الجَنَدي : أول سنة عشرة وستمائة . وعندي أنه هو الصحيح "[٣٨] وحين ختم خبراً بقوله ؛ " وذلك على رواية ابن عبد المجيد ثمانون يوماً ، وعلى رواية الجندي نحو من تسعين يوماً "[٣٩] وثانيهما : أن المتتبع لنقله عن الجندي خاصة ، قد لا يجد حدوداً تفصل بين رواية الجندي ورواية المصنف ، وذلك أمر

كان ينبغي أن يتنبّه له الخزرجي على الدوام ليبتعد عن هذا الخلط الذي يحسب عليه[٤٠] . وقد يروي أخباراً يمتزج فيها الحدث بالشعر والوصف[٤١] ونجدها مع اختلاف بسيط في سلوك الجندي[٤٢] ، دون أن يتبين القارئ مدى إفادته من صاحب السلوك . ولكنه في حالات أخرى يوضح حدود هذه الإفادة وانتهاء النقل بين فقرة جديدة بقوله : " وفي هذه السنة ... أو وفيها ... " وهذا كثير ، قد يختم الأخذ عن الآخرين بـ " انتهى "[٤٣] وقد يشعرنا بانتهاء النقل على الآخرين حين يبدأ بخبر يسند روايته لنفسه ، قال : علي بن الحسن الخزرجي[٤٤] .

وأياً كان الأمر ، فالذي تقدم ذكره من مصادره المكتوبة أو رواياته الشفوية المسندة ، تظهر الرجل مؤرخاً أميناً فيما رواه من أخبار وأحداث كبيرة كانت أم صغيرة .

أنواع الروايات

وصف د . شوقي ضيف كتاب العقود وصفاً دقيقاً مشيراً ، إلى أنه كتاب نفيس لا يعرض التاريخ السياسي فحسب ، بل يعرض أيضاً التاريخ الثقافي والحضاري عرضاً مفصلاً[٤٥] . وقارئ هذا الكتاب يتبين أن الروايات الكثيرة التي ضمها هذا الكتاب بجزأيه ، ذات اتجاهات عديدة ، تتناول مختلف مناحي الحياة وأبرزها :

الرواية السياسية والإدارية : وقد عني فيها المصنف غاية العناية ، فهو قد وضع كتاباً أساساً لتاريخ الدولة الرسولية ، ونجده يطيل في الحديث عن إرهاصات قيامها وكيفية تأسيسها ، وما تخلل ذلك من حروب ووقائع بين بني رسول وخصومهم من الثائرين والمناهضين لهم في الداخل ، وبعض صدامات لهم مع جيوش آتية من خارج حدود السلطنة ، كالحديث عن غارة قادمة من الديار المصرية وعبث الجند بأهل تعز والجَنَد وغيرهما[٤٦] .

وكان إذا ما ذكر وفاة سلطان تحدث عن دفنه وذكر محاسنه ومآثره ، ثمّ الحديث عن السلطان الجديد وكيفية توليه ، مشيراً إلى صدور المنشورات الديوانية للإعلان عن قيام دولة السلطان الجديد ، فضلاً عن خوضه في تفاصيل تاريخية كثيرة مثل الإشارة إلى رسائل الطاعة ووصول الهدايا إلى الحاكمين . وما يعكس ذلك من شؤون العلاقات الخارجية ، ومنها وصول رسول صاحب كنباية وملك السند ورسائل صاحب هرموز ودهلك وأهالي بلدة كاليقوط إعلان الولاء[٤٧]. إلى جانب ذكر حالات الصلح ، أو أخبار الفتن والنزاعات والشغب في أرجاء الدولة . ومنه إغارة السلطان المؤيد على المعازبة بعد فساد أمورهم في التهائم وما انتهى إليه الأمر السلطاني إذ شيّخ عليهم امرأة منهم يقال لها : بنت العاطف[٤٨]... ومنها إغارة السلطان الأشرف ابن السلطان الأفضل على بلاد العبيد عند قرية ( بيت العقار ) بعد خروجه من قرية ( بيت الفقيه بن عجيل ) وكيف " سار بحملين من الطبلخانة والزمّار ورواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورايته المنصورة "[٤٩]. إضافة إلى يوميات سلطانية تخصّ حجهم وتنقلاتهم وصعودهم الحصون ونزولهم منها ، أو القبض على هذا وإطلاق

سراح ذاك . وقد يطيل الحديث في الأخبار الثانوية ومنها ما يتصل بمن يولد أو يخنق أو يتوفى رجالاً ونساء من الأسرة الحاكمة أو غيرها .

ومما يتصل بالجانب الإداري وتنظيم شؤون الدولة ، الإشارة إلى تولية الوزراء[٥٠] والكتّاب ، وذكر ألقاب الكثيرين من أصحاب المراكز الرسمية في مختلف المدن – وخاصة الكبيرة منها – ومن هؤلاء : المشدّ أو مشدّ الاستيفاء ، أو أستاذ الدار ، أو الناظر ، أو الوالي ، أو صاحب زبيد أو غيرها والمقدم والمقطع [٥١] ...

الرواية الاجتماعية : وهو موضوع متشعب ، امتد حديثه صفحات طويلة ، شملت كل ما يتصل بشؤون المجتمع وأفراده خاصهم وعامهم . من ذلك اهتمامه بحياة الفقهاء والقضاة والترجمة لحياة المئات منهم ، بل إطالة هذه التراجم لبعضهم من حيث صفاتهم وثقافاتهم وتصنيفهم الكتب وأسماؤها ووفيات هؤلاء ، مؤرخاً ذلك بالسنة والشهر واسم اليوم وتاريخه في كثير من الأحيان [٥٢]. كما تجلت عنايته بالأحداث التي تمس شؤون الناس ومعايشهم ، من ذلك ذكر سنوات القحط وارتفاع الأسعار ومعاناة الناس وموت الكثير منهم بسبب ذلك . ومنه ما حدث سنة ٦٥٥هـ في صنعاء وصعدة والظاهر ، إذ أكل الناس الكلاب والسباع[٥٣] ، ولعل من أسباب هذا القحط ما تنزل في البلاد من أسراب الجراد وتلف الزرع وألوان الثمار ، ومن ذلك ما حدث سنة ٦٥٦هـ أيضاً وفي سنة ٧٠٢هـ إذ عمّ القحط الشديد اليمن جميعه سهلاً ووعراً[٥٤] . وبسبب سقوط المطر المدمّر كالذي حدث ليلة السبت آخر شهر جمادي الآخرة سنة ٦٩٧هـ ، إذ عمّ اليمن مطر عظيم وخاصة في تهامة أتلف السفن وهدم الحصون وقلع الأشجار[٥٥] ، ومثله ما حصل من مطر شديد في يوم التاسع عشر من صفر سنة ٧٤٣هـ ، فتهدمت البيوت وقتلت النفوس وهلكت الحيوانات . وافتقر الكثير من أهل وادي زبيد . كما يؤرخ لبعض الحرائق المدمّرة ، ومنها الحريق الذي حدث في زبيد سنة ٧٨١هـ وحريق آخر حدث سنة ٧٩٢هـ[٥٦] ، كما يشير إلى انتشار الأمراض كالجذام[٥٧] ، وهذه الأحداث تقوده إلى تسجيل الشؤون الاقتصادية وانعكاساتها على حياة أبناء المجتمع ، من ذلك تفصيله القول في الغلاء الذي حصل سنة ٨٠١هـ وبيان مدى ارتفاع الأسعار وفحشها وزيادة المكاييل ، وما حصل في مجاعة حصلت في رمضان في سنة ٤٩٣هـ إذ بيع المدّ من الطعام بنيف وتسعين ديناراً[٥٨] ، ويتصل بهذا الموضوع الإشارة إلى ظهور الدراهم الجديدة وما يتبعه من تغيّر بالأسعار كالدرهم السعيدي المظفري والدرهم الرياحي ( الرياضي )[٥٩] .

ومما يتصل بالحياة الاجتماعية حديثه عن مظاهر الزواج وإقامة الأفراح لمدة سبعة أيام[٦٠] ومثلها في مجالس العزاء[٦١] ، فضلاً عن ذكر موسم الخيل في عدن[٦٢] ، والإشارة إلى الولادات الغريبة ، كأن يكون للمولودة أربع أياد وأربع أرجل ، أو أن تلد جارية ولداً له وجه جدي وأعضاؤه وحواسه غريبة المواضع [٦٣] .

وعني بتوثيق الظواهر الطبيعية ، من ذلك ما حدث يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٣هـ ، إذ ظهرت هالة على الشمس لمدة ثلاث ساعات تقريباً إلى آخر الساعة السادسة ، وكانت هالة كبيرة بينها وبين الشمس من كل ناحية نحو من عشرة أذرع ، ولونها بين البياض والصفرة والحمرة والخضرة وكان هناك شعاع أبيض كأنه الفضة البيضاء ، وتكرر ذلك بعد شهر [٦٤] ومن ذلك حدوث الزلزال في صنعاء سنة ٦٥٩ هـ[٦٥] ، ووصفه لزلزال حدث في السودان سنة ٨٠٢ هـ[٦٦] .

ولأن الشأن الديني ركن أساس من حياة المجتمع ، فقد كان اهتمامه كبيراً بكل ما يتصل بحياة الفقهاء الشخصية والسلوكية والعلمية ، وهذا معلم بارز يؤكد هذا الاهتمام ، إذا أفاض بالإشادة بهم وبمواقفهم وتشددهم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، كالذي ذكره عن إصرار الفقيه عبد الرحمن بن إسماعيل (٦٥٤هـ ) على صيام السلطان عمر الرسولي شهرين كفارة جماع في نهار شهر رمضان قائلاً : " الغرض بالكفارة حسم مادة معاودة الذنب ، ولا تنحسم مادة معاودة الذنب في هذا الفعل من مولانا السلطان إلا بذلك[٦٧] . رافضاً ما أراده بعضهم من الجزاء بالإطعام أو الإعتاق . ويشكل إكثاره من رواية الرؤى والبشارات وكرامات الأولياء والصالحين مثالاً على هذا التوجه الذي ينساق إليه بحس المؤرخ والعاطفة الروحية التي تضع الأولياء في مقامات رفيعة ، حتى وإن أغرق بعض هذه الرؤى بالخيال والخرافة[٦٨] . ومن رواياته ذات التوجه الديني حديثه عما فعله جند المظفر سنة ٦٧٢ هـ في " بيت حنبص " إذ كسروا أوعية الخمور وأراقوها ، وقد تغنى الشاعر غازي بن المعمار بهذا الحدث منوهاً بفعل هؤلاء ، غامزاً الأشراف الذين يشربون الخمر خفية ويظهرون النسك للناس في الجهر[٦٩] :

| | |
|---|---|
| ولما فتحنا " بيت حنبص " عنوة | وجدنا به الأدواج ملأى من الخمر |
| وعند أمير المؤمنين عصابة | يقولون بالبيض الحسان وبالسمر |
| فإن تكن الأشراف تشرب خفية | وتظهر للناس التنسك في الجهر |
| وتأخذ من خلع العذار نصيبها | فإني أمير المؤمنين ولا أدري |

وتتعدد رواياته عن الحج و كسوة الكعبة[٧٠] ، ووصفه لبعض المواسم[٧١] . كما كان يعنى بذكر المجالس التي تعقد لقراءة الكتب الدينية وختمها ، وحضور الأعيان والناس الآخرين ، محتفلين بمثل هذه المناسبات[٧٢] . ومن مظاهر الاهتمام الديني كثرة الربط والخانقاهات وبناؤها في أماكن متفرقة للعبادة و أداء الفروض والتعلم ، إذ يرتب فيها : إمام و شيخ ومؤذن وقيم ومعلم لتعليم الأيتام القرآن الكريم بعد أن يوقف عليها وقف حسن[٧٣] .

ويتصل بهذا السياق ذكره لإقامة مشايخ الصوفية " سماع المحيا " في الليلة العاشرة من شهر جمادى الآخرة[٧٤] ، وحديثه عن بعض من يتراقص من الصوفية في قرية " البهاقر " مستشهداً ببيتين شعريين لأحد الفقهاء في ذم ذلك[٧٥] . ويكثر عنده الحديث عن المتصوفة ونقل كلامهم وأدعيتهم والتعريف باسمهم والإشارة إلى مجاهداتهم[٧٦] . وقد يخلط بين الرواية السياسية والدينية للإحاطة بالخبر كاملاً ، كما في حديثه عن استيلاء بعض الأئمة والأمراء والأشراف على صنعاء سنة ٦٧٤هـ ، وحين رقي الأمام منبر مسجد صنعاء أذن المؤذن في منارته " حي على خير العمل " خاتماً هذه الرواية ببيتين يصوران عدم رضا المصنّف عن هذا العمل[٧٧]:

ولو علموا عقبى الأمور لقابلوا أوائلها بالحزم واطرحوا العُجبا

ولكنه المقدور يلوي بذي الحجا فيسلبه إن حم آراءه سلبا

وتعنى الرواية الاجتماعية بما يكشف عن الجانب الحضاري الذي صارت إليه البلاد في شتى المجالات . وهي تظهر مدى الاهتمام بالبناء وإقامة العمائر ذات الصلة الوثيقة بالنواحي التعليمية والدينية والحياة الاجتماعية . فالكتاب يشير إلى بناء ما يقرب من مائتي مدرسة في المدن والقرى مثل : تعز وزبيد والجند وجبلة وغيرها ، وكانت هذه المدارس تخصص للقراءات أو للحديث النبوي أو الفقه . ويرتب في هذه المدارس ، مدرس وطلبة ومؤذن وإمام في أوقات الصلوات الخمس ، كما يخصص وقف لكفاية الجميع . وقد يجعل إلى جانب هؤلاء معيد ومعلم وقيم وشيخ ونقيب[٧٨] . وقد تبنى مدارس خاصة ببعض المذاهب[٧٩]. وربما أوقفت في بعض المدارس خزانة من الكتب النفيسة[٨٠] . وكما بنيت المدارس داخل اليمن فإنها بنيت خارجه كالمدرسة المجاهدية في مكة المشرفة[٨١] . وقد أسهم في بناء هذه المدارس السلاطين والأمراء وبعض سيدات القصر السلطاني إلى جانب تنظيم شؤونها[٨٢] .

وكان الاهتمام واسعاً في مجال بناء المساجد على امتداد السلطنة اليمنية . وقد شاركت نساء القصر في هذا العمل الجليل فضلاً عن سلاطين الدولة ورجالها . وكانوا يرتبون فيها إماماً ومؤذناً ومدرساً وقيماً ووقفاً يقوم بكفاية الجميع منهم وإطعام الوافدين إليها . وقد يرتبون في المسجد مؤذنين وقيمين . وكانت هذه المساجد تسهم إلى جانب واجباتها الدينية في إغناء العملية التعليمية إذ يجتمع الناس فيها لقراءة الكتب[٨٣] .

ومن الطريف أن نجد بعض الفقهاء يذم المدارس ويدعو إلى ملازمة المساجد كلياً للثواب[٨٤]:

بيع المدارس لو علمت بدارس يغلو وأخسرُ صفقة للمشتري

دعها ولازم للمساجد دائماً إن شئت تظفر بالثواب الأوفر

ومن هذا المنطلق بناء الربط والخانقاهات ، وقد مرت بنا الإشارة إلى ذلك .

ويكثر الخزرجي الإشارة إلى بناء القصور ووصف عمارتها كالقصر المعقلي في ثعبات وآخر في صالة ، وقصر الشجرة في تعز وقصر عوهان في جبلة ، إلى جانب التمثل بالشعر الذي قاله الشعراء في وصف هذه القصور . فضلاً عن الحديث عن بناء الأسوار وعمارة أبوابها وخنادقها وزخرفة الشوارع وإقامة الحصون ، كالذي عرف عن السلطان المجاهد من عناية بالبساتين والمساكن العجيبة والقصور الغريبة[٨٥] .

الرواية الأدبية :

كتاب ( العقود اللؤلؤية ) رافد ثقافي ثري الأخبار ، بل هو من أوفر المصادر مادة تاريخية وأدبية في عصر يعد من أزهى العصور اليمنية ، من حيث الوحدة السياسية والبناء الاجتماعي والحركة الثقافية الواسعة . ووقفة متأنية عند هذا الكتاب تكشف عن مدى حاجة الدارس الأدبي خاصة ، لمثل هذا النمط من الكتب التي يواكب فيها النص الأدبي الخبر التاريخي ويلتصق به ، يوضحه ويغذيه . وهذا ما تجده في الكثير من الكتب التاريخية التي اختط لها أصحابها هذا النهج المعرفي العام كالطبري والمسعودي وابن الأثير ، وكذلك كان الخزرجي يسرد أخباره ثم يتبعها في أكثر الحالات بالنص الأدبي المناسب . وقد وجدنا في كتابه هذا مادة شعرية واسعة في مختلف الأغراض : الحماسة والمديح والوصف والرثاء والهجاء والفخر ... ويقرب ما ذكره من أسماء الشعراء (٧٥) شاعراً يمنياً وغير يمني منهم السلطان والأمير والفقيه والوزير والكاتب ... وبلغ مجموع ما أنشده من الشعر (١٣٧٨) بيتاً : منها (١٢٧٣) منسوبة لقائليها و (١٠٥) غير منسوبة ، وكثير من هذه لأبي الطيب المتنبي . ويلاحظ أنه عرّف ببعض الشعراء وما يتصل بجانب من حياتهم والإشارة إلى وجود دواوينهم كمحمد بن حمير والقاسم بن هتيمل والشيخ علوان بن عبد الله وعفيف الدين عبد الله بن جعفر[٨٦] ، والذي يستوقف الدارس أن الخزرجي لم يقف عند الكثير من الشعراء وقفته عند الفقهاء ومنهم الفقهاء الشعراء ، إذ كان يذكر تواريخ مواليدهم ووفياتهم وجانباً من حياتهم الاجتماعية والدينية والأدبية[٨٧] . ولعله لم يشأ أن يتحول مؤلفه إلى كتاب أدبي ، فالرجل أولاً وآخراً مؤرخ أخبار وسارد أحداث ، وعلى أية حال ، فان الكتاب يكشف عن مدى إحاطته بالجوانب الأدبية للعصر الذي أرّخ له ، من حيث المادة الشعرية التي أثبتها وما ذكره من أسماء العشرات ممن قالوا الشعر – وهو منهم – وقد اثبت لكثيرين قصائد طوالاً تتراوح أبياتها بين ٣١ – ٤١ – ٤٣ – ٤٥ – ٤٧ بيتاً .

وتقل عنده رواية النصوص النثرية قياساً بالنصوص الشعرية ، وما ذكره من النثر يتوزع بين كتاب تقليد ورسائل تهنئة وإعلان طاعة ومنشور سياسي ودعوة لتأييد موقف سياسي أو الرد عليه ، ومنها كتب أدعية ومبايعة ونصر . وهي بمجموعها تمثل الأنموذج الذي صارت عليه الكتابات النثرية ، وما تميزت به من تكلف للسجع ، وحرص على الموازنة بين الجمل أحياناً ، وترجيح هذه النصوص

بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية التي تتناسب وسياق المعاني بياناً وتوكيداً . فضلاً عن نص نثري وصفي ينسب لحسان بن ثابت أو سجع كهان وذكر لبعض الأمثال[٨٨] والرسائل الإخوانية .

ومما يتصل بهذا الجانب الأدبي للكتاب ذكره لما يزيد على مائة وعشرين مصنفاً في مختلف العلوم المعرفية : الدينية ، في الفقه والفرائض والتفسير والحديث . واللغوية والأدبية مما يتصل بالنحو والألفاظ والعروض والأدب بمعناه العام . والتاريخية ، في الأخبار والسير والأنساب والقضاء والسياسة والإدارة ، وفي العلوم الصرف كالحساب والجبر والمقابلة والفلك والطب والدواء والبيطرة ، فضلاً عن كتب في الموسيقى والطرب والألحان[٨٩]. وكان الانتهاء من تصنيف بعض الكتب يتخذ شكلاً احتفالياً يحمل المصنف إلى مقام السلطان مرفوعاً بالطبلخانة مع صلة مجزية للمؤلف[٩٠] .

وهو بذلك يلقي الضوء على مبلغ ما وصل إليه النشاط الثقافي من حركة واتساع ، وما بذله العلماء والأدباء والفقهاء في اليمن من جهود أثرت التراث العربي – الإسلامي ، وحفظت له الكثير من هذا النتاج الغني المتنوع . ولأن الكتاب مصدر أدبي جليل فقد رجع إليه العديد من الدارسين المحدثين المهتمين بتاريخ اليمن وأدبه ومنهم الدكتور شوقي ضيف[٩١] والدكتور يحيى حسان في كتابه الشعر اليمني في القرن التاسع ، ومحقق " نسمة السحر " فما أثبته الخزرجي من نصوص شعرية ونثرية ثروة قيمة في موضوعاتها وفي دلالاتها وأسماء الأعلام اللامعين من قائليها .

والذي تقدم يعني أن هذا الكتاب ذو مادة غزيرة قيمة تتوزع في اتجاهات مختلفة : سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية وحضارية ، إلى جانب العناية بالأعلام المشهورين من ملوك وأمراء ووزراء وقضاة وفقهاء وشعراء وكتاب ، فضلاً عن ذكر السيدات وما قدمنه من عطاء . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخزرجي حرص أشد الحرص على ضبط أسماء الأعلام وألقابهم وأسماء الأمكنة كذلك ، تحرياً للدقة في تلفظها وليبعد الخطأ واللبس عن الدارس والقارئ ، وخاصة حين يتحمل اللفظ أكثر من قراءة ، كقوله مثلاً : اسمه رَتن براء مفتوحة وتاء مثناة من فوقها وآخره نون وهو على وزن وثن مفتوح أوله وثانيه . ومثله : قرية عُقاقه بضم العين المهملة وألف بين قافين وآخر الاسم هاء[٩٢] ولعله حذا في ذلك حذو الجندي وابن خلكان . وقد حاول الخزرجي – ما استطاع – أن يختار من التاريخ عيون أخباره وجليل أحداثه وأن لا يكون حاطب ليل . واجتهد ما وسعه الاجتهاد في أن يتطابق العنوان مع المضمون . ولكنه على آية حال مؤرخ عز عليه أحياناً أن يهمل حتى الخبر الصغير البسيط الذي قد يلقي ضوءاً على قضية ما ، وهو في النهج التأليفيّ يحذو حذو الطبري الذي قال متحدثاً عن سرده للأخبار : " إنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا "[٩٣].

**موقفه من الروايات :**

الخزرجي مؤرخ – كغيره من المؤرخين الذين سبقوه – يروي الخبر ويسرد الحدث جاهداً في توثيق ما يرويه عن تاريخ الدولة الرسولية ، وما وقع في عصرها من أحداث جسام خارجية وداخلية .

وقد حرص الخزرجي على تأصيل الخبر عن قيام حكم بني رسول واثبات نسبهم الغساني اليمني في أخباره المنقولة وفي شعره هو وشعر الآخرين . والرجل في كثير من هذه الروايات ، راوية لا ناقد ممحص ، فقد لا يقف عند الكثير من رواياته فيقول رأياً أو يبدي تعليقاً ، حتى تلك التي يبدو عليها الانتحال ، ومن ذلك إيراده القصيدة الميمية المنسوبة للملك الحارث الرائش الحميري ، وهي من الشعر التعليمي الذي يستعرض فيه قائلوه الأحداث التاريخية منظمة مسلسلة . فهذه القصيدة وضعها قائلها ليظهر عراقة الملك الرسولي ، وأن الحارث هذا تنبأ بهذا الملك ، متحدثاً عن مستقبل الزمان ومخبراً بما سيكون من الحوادث قبل وقوعها ، كما في قوله – بعد تسعة عشر بيتاً[٩٤]:

ويظهـــر رايـــة المنصـــور فـــيهم علـــى خـــاء إذا نطقـــوا ولام

ويملـــك بعـــده رجـــل نحيـــل علـــى آبائـــه أزكـــى الســـلام

وإذا يوافق الخزرجي قائل هذا الشعر على تنبؤاته يقول مشيراً إلى البيت الأول : " فكان كما قال من ظهور الملك المنصور واستقلاله في اليمن وتواتر ذريته من بعده إلى يومنا هذا ، وهو عمر بن رسول ... ويتساءل المرء ، هل كان حساب الجمل معروفاً مشهوراً منذ أيام الحارث قبل الإسلام ، وأن حرف الخاء قيمته ٦٠٠ وحرف اللام ٣٠ فيكون المجموع ٦٣٠ وهو التاريخ الذي تولى به المنصور الرسولي ملك اليمن ؟ الخزرجي يعرف أن " التاريخ الشعري " الذي يعتمد على ترتيب الحروف الأبجدية وما يقابلها من أرقام لضبط تاريخ مناسبة من المناسبات ، عرف الأخذ به لحاجات حسابية وتجارية ، يقول الشيخ محمد حسين آل ياسين : " وعندما شعر العرب بالحاجة الملحة إلى الحساب ... بادروا بادئ بدء إلى إعطاء حروفهم الأبجدية قيماً حسابية معينة ، فكانوا يرمزون إلى الواحد بحرف الألف ، والى الاثنين بحرف الباء والى الثلاثة بحرف الجيم – وهكذا ، ويطلقون على ذلك اسم "حساب الجمل "[*].

ولعل الخزرجي يعرف أن القصيدة قيلت متأخرة تأييداً للرسوليين وإظهار حقهم التاريخي ضد خصومهم والخارجين عليهم ، وربما كان صاحب النص من شعراء السلطان المظفر الذي يعنيه الشاعر في البيت الثاني .

ولعل من مظاهر الشك عنده قوله آخر الخبر " والله أعلم " صحيح أن كثيراً من المؤرخين يختمون بعض أخبارهم بهذه الجملة ذات المغزى الديني ، ولكنها لا تخلو من دلالة خبرية كذلك . فالخزرجي يكررها بشكل خاص في خاتمة أخباره التي تحتمل الشك ، كقوله متحدثاً عن عمرو بن فريقياء : إنه كان يلبس كل يوم حلتين ثم يمزقها آخر يومه يأنف أن يعود فيهما ويكره أن يلبسهما غيره ، وعمّر عمراً طويلاً يقال : إنه بلغ من العمر ثمانمائة سنة والله أعلم[٩٥] . أو حين يروي روايتين بينهما اختلاف[٩٦] . وروايته عن أخ مزعوم للملك المجاهد ربّي مع الجن وحضر بعد أن

انشق الجدار عنه لمساعدة المجاهد في حصاره وبعد حمايته للسلطان عاد إلى موضعه الذي كان فيه . ولعل الخزرجي أدرك أثر الخيال في اصطناع هذا الخبر فعقب بـ " الله أعلم "[٩٧] . وهو بمثل هذه الأخبار يقتفي أثر المؤرخين المتقدمين كالطبري الذي قال : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا[٩٨] . ونقرأ هذا الخبر الذي يتحدث فيه عن وفاة السلطان المظفر إذ يقول : " وكان ملكه ستاً وأربعين سنة ، وهو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله في ملحمة تخصّ أهل اليمن : " ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر "[٩٩] . ومؤرخنا لا يذكر مصدره الذي أخذ عنه قول الإمام علي كرم الله وجهه ، ولا يتساءل : هل يمكن أن يصدر عن الإمام مثل هذا القول المتنبئ ؟ وما هذه الملحمة التي أشار إليها ؟ وأخيراً فهو لا يعلق بشيء ولا يختم حتى بـ " الله أعلم " فالمظفر تولى السلطنة المدة المعروفة ، ولا يحتاج لمثل هذا القول ، ولكن الخزرجي ارتضى الرواية ، ولعله ممن يذهبون مذهب من يعتقدون أن لسيدنا علي مثل هذه الكرامات والقدرات التي لم يقل الإمام نفسه بها . فلعل تقربه لآل رسول الله ﷺ وتصديقه لما نسب لعلي ﷺ يقف وراء روايته لمثل هذه الأخبار دون تعليق .

ولكننا في روايات أخرى نقرأ للخزرجي أقوالاً أو تعليقات تنم عن موقف مصحح لبعض هذه الروايات أو مستدرك لما تتضمنه من أخبار ، من ذلك تعليقه على خبر نقله عن أبي الحسن حمزة الأصفهاني ذكر فيه أن النابغة الذبياني امتدح عمرو بن المنذر الأصغر بشعره ، إذ قال بعد ذكر الخبر : " والذي يظهر لي أن النابغة لم يدرك عصر هذا المذكور ، فإن المصنف – الأصفهاني – رحمه الله ذكر النابغة في آخر الفصل ، وذكر أن مدح الأيهم بن جبلّة ، وبين الأيهم بن جبلة وعمرو بن المنذر الأصغر على ما أثبته هو في التاريخ ما يزيد على ثلاثمائة سنة . ومعلوم أن النابغة كان قريباً من دولة الإسلام ، لأن حسان بن ثابت عاصره ووفدا معاً على النعمان بن المنذر اللخمي "[١٠٠] وهذا موقف مؤرخ يتحرّى الدقة في الخبر ويصححه في ضوء المقارنة بين ما يتوافر لديه من معلومات تاريخية . ومثل هذا تعليقه على خبر أورده المظفر بن الجوزي في كتابه " مرآة الجنان " حول تعداد ما أخذه الملك المسعود الأيوبي معه من حمول عند سفره من اليمن ، إذ قال الخزرجي : " إن السامع لا يكاد يصدق بها ، ولهذا تركت ذكرها " وكذلك قوله في خبر لابن الجوزي أيضاً ذكر فيه قتل الملك المسعود لثمانمائة شريف من أولاد الحسنيين في اليمن : " قال علي بن الحسن الخزرجي : " هذا شيء لا يقبله العقل ولا يصدقه النقل ، ولا يوجد في اليمن كله من أعيان الأشراف الحسنيين مائة رجل ، ولا ذكر هذا ولا ما يشابهه أحد من علماء التاريخ باليمن . والله أعلم "[١٠١] . ومن هذا اللون تعليقه على خبر منسوب للأسنوي في طبقاته عن نسبة أحد العلماء لقلعة غير معروفة ، إذ قال : "

وهذا غلط من الأسنوي والله أعلم "[١٠٢] وحين أنشد الوزير الشاعر ابن دعاس السلطان المظفر قصيدة نونية مطلعها :

ليس في قدرة ولا إمكان نيل ما نلت يا مليك الزمان

هاك شعراً منظماً لم أغر فيه لا على مصحف ولا ديوان

قال المصنف : " أول بيت منها لابن الحجاج البغدادي "[١٠٣] و في هذا توثيق جميل لنص شعري . و حين تعرّض ابن دعّاس لكتاب الدرج الذين قدم بهم العماد الأعمش من مصر بقوله :

أهدى العماد نحونا من مصر كتاباً غرر

تبقروا بقائراً لكنها على بقر

علق الخزرجي : " ولم يكن كما قال وإنما كانوا أهل فضل و فواضل "[١٠٤] . و يروي خبراً عمن ذكر أنه : رأى في كهف في جبل مذبح في ناحية صنعاء رجلاً ميتاً عليه سبعة أكفان وتحته نحو من أربعين ثوباً ، وعليه عمامة طويلة طولها خمسة وثلاثون ذراعاً ... وبعد وصفه للرجل ، قال الراوي : طول أصابع يديه ، كل واحدة نحو من شبر ، وطول ساقه ذراع ونصف ، وطول أصابع رجليه ، كل واحدة نحو من كف ... وينهي هذا المتحدث وصفه بقوله : " أجمع أهل تلك الناحية على أنه علي بن أبي طالب ﷺ " وبعده يعقب المصنف : " أما قولهم أنه علي بن أبي طالب فغير صحيح لأن علياً ﷺ قتل في الكوفة وقبره فيها بلا خوف ، ولكنهم أخفوا قبره ، والغالب أن هذا أحد العلماء المتقدمين أو أحد ملوك حمير والله سبحانه أعلم "[١٠٥] فالخزرجي – إذن – لا يرفض مثل هذه الأخبار وما تتضمنه من وصف أسطوري لا صلة له برجل سوي الخلقة علياً كان أم ملكاً حميرياً أم عالماً . ولكن هل هذا يعني أنه كان سيقبل الخبر لو كان قبر الإمام علي في مكان الحدث ؟ على آية حال كان للمصنف تعليق على مثل هذا الرواية التي يبدو فيها شكه واضحاً من خلال ختامه لها .

**الخزرجي أديباً :**

للخزرجي ديوان شعر لم يعثر عليه . والذي أورده لنفسه في " العقود اللؤلؤية " وكرره في كتابه " العسجد المسبوك "[١٠٦] من قصائد شعرية ، كان أكثره في المديح والرثاء والوصف . والذي بين أيدينا من شعره يظهره شاعراً ناظماً لا يرقى إلى رتبة علية في هذا الفن . يقول الحافظ أبن حجر : " واشتغل بالأدب ففاق أقرانه ومدح الأفضل والأشرف ثم الناصر ، وكانوا يقترحون عليه الأشعار في المهمات فيأتي بها على أحسن وجه ، وكانت طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تعاني المعاني التي لهج بها المتأخرون "[١٠٧] والنص المتقدم يكشف عن قدرته في ارتجال الشعر لما يتمتع به من

بديهة سريعة ، وعن نوع الشعر الذي يقوله استجابة لرغبة الملوك وطلبهم . وأنه في شعره ينحو منحى الشعراء الفقهاء في الأداء السهل والبعد عن التغريب في الألفاظ والتصعيب في المعاني .

وكانت المناسبات الرسمية والاجتماعية والدينية تستثير شاعريته فينطلق معبراً عن مشاعره تجاه السلاطين مستغلاً تلك المواقف لتأكيد ولائه . من ذلك قصيدته التائية التي قالها سنة ٧٩٣هـ في حفل ختان – تطهير – أولاد السلطان الأشرف بحضور عدد من الشعراء ، وقد بدأها بمطلع وصفي يتناغم وجو المناسبة إذ قال[١٠٨]:

هب النسيم معنبر النفحات وشدا الحمام بأطيب النغمات

وتضوع اليمن الخصيب بأسره بالطيب من عدن إلى عرفات

وتألق البرق الكليل فأشرقت أنواره في حندس الظلمات

فرحاً بتطهير الملوك الأكرمين من الأعظمين الجلة السادات

ثم يتحول إلى مدح الأولاد / الأمراء وأبيهم السلطان وأجدادهم ، وذلك أمر لازم في مثل هذه الأحوال ؛ لأن القصيدة ما كانت لتنظم لولا التقرب للسلطان واستغلال المناسبة لمدحه مدحاً تقليدي المعاني ، حرص الشاعر فيه أن لا ينسى معنى من معاني الإشادة والثناء : بأساً ومكارم ورجاحة عقل وسماحة يد ... وبعد تعداد هذه الصفات التي يمكن أن تقال في كل سلطان ، يعود إلى وصف أجواء الفرح ومشاهد البهجة التي حاكتها كل مظاهر الحياة وأنساقها النابضة : جواً متلألئاً وأرضاً خضراء سندسية وروضاً خيوط نسيجه السندس والشقائق ، وشجراً يتمايل بأغصانه التي علتها الطيور تشدو وتتغنى باليوم السعيد:

فالدوح ترقص في غلائل سندس والجو ينثر لؤلؤ القطرات

والروض معتم النبات بنرجس وشقائق تزري بكل نبات

والطير ذا شاد وهذا زامر فوق الغصون بأفصح الأصوات

ثم يعود إلى مديح السلطان الأشرف خاصة :

الأشرف الملك الذي عم الورى بالفضل والإحسان والحسنات

وهكذا قطّع الشاعر أوصال قصيدته ، وكانت الوحدة الموضوعية تتطلب أن يجمع أبيات الوصف معاً ، وكذلك الأمر بالنسبة لأبيات المديح المتقطعة ، وكأن الشاعر أراد أن تكون لكل مديح وممدوح مقدمة وصفية خاصة . ثم يختتم قصيدته ختاماً سهلاً دعا فيه الممدوح بالبقاء السعيد والعز المديد .

وتظل القصيدة نثرية النسيج بعيدة عن الجديد في المبنى والمعنى وقد مال فيها الشاعر إلى التعداد والتسجيع الداخلي كما في قوله :

ذو فطنـــة ينبيـــك بعـــد غـــد بمـــا ســـيكون بعـــد غـــد بمـــا هـــو آتٍ

وســـــماحة وفصـــــاحة وصـــــباحة وشـــــجاعة ورجاحـــــة وإبـــــات

ومـــــوارد مشـــــهورة ومشـــــاهد مـــــذكورة ومكـــــارم وصـــــلات

وإبانـــــة ورصـــــانة وشـــــجاعة وبراعـــــة وفراســـــة وثبـــــات

ولا يخلو هذا التعداد من تكلف وإثارة ملل ، فمثل هذه المعاني مكرورة لاحد لأمثالها .

وكان الخزرجي واحداً من المدرسين المرتبين لإقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الأشرفي في قرية المملاح ، فأعجبه ما رأى من اشتغال العلماء في هذا الجامع ، كل طائفة بما ندبت له ، فقال قصيدة وصف في مقدمة مناسبة إقبال الزمان وإشراقه في ظل السلطان الأشرف الذي قال له ولآبائه الملوك ألواناً من المحامد والأعمال الجليلة ، مشيداً بمحتدهم الغساني وكريم أفعالهم قائلاً[١٠٩]:

ضـــحك الزمـــان بواضـــح الثغـــر مستبشـــراً بـــالعز والنصـــر

فـــي دولـــة زادت زبيـــد بهـــا شـــرفاً علـــى بغـــداد بـــل مصـــر

بالأشـــرف الملـــك الـــذي ذكـــرت أيامـــه فـــي ســـالف العصـــر

مـــن لا شـــبيه ولا نظيـــر لـــه واســـأل ملـــوك العصـــر فـــي العصـــر

ولم يفته أن يرجح مقام الملوك الغسانيين على حاكمين آخرين هنا وهناك :

ملـــك كـــريم النبعتـــين معـــاً مـــن ســـر غســـان ومـــن فهـــر

لا شـــــيرويه ولا بويـــــه ولا زنكـــــي ولا زيـــــري وســـــل تـــــدري

ويطيل في تعداد ممل لأسماء العلماء العاملين معه في هذا الجامع مثنياً على زملائه ثناء حميداً وفيهم مقرئ القرآن وراوية الحديث والخطيب الواعظ ومعلم الصبيان وشيخ الخبر :

وتـــرى أبـــا العبـــاس محتبيـــاً يـــروي حـــديث الطـــاهر الطهـــر

والناشـــــري كأنـــــه قمـــــر متـــــبلج ومعيـــــده القحـــــري

ومعلـــم الصـــبيان لـــيس لـــه فـــي البـــدو مثـــل لا ولا الحضـــر

وحرصه على هذا التعداد قاده في بيتيه :

وعلـــي المطيـــب وابنـــه معـــه ناهيـــك مـــن طـــرد ومـــن بحـــر

وعلـــي بـــن أحمـــد لا نظيـــر لـــه شـــيخ شـــيوخ الجبـــر والجـــذر

إلى عدم الوفاء بحركة الياء وتشديدها في لفظتي " علي " وهذا التعداد يقرب القصيدة من الشعر التعليمي ، فيأتي العرض جافاً والأسلوب نثري البناء والمفردات :

وعلـــي مـــن كعلـــي لا أحـــد يشـــبهه فـــي المعـــروف والنكـــر

وكـــذاك داود ويوســـفه ناهيـــك مـــن بحـــر ومـــن بـــر

وكـــذا أبـــو الفـــتح الرضـــى عمـــر وعليـــه ورســـول ذو القـــدر

فمفردات مثل : كذاك ، ناهيك ، كذا : تثقل موسيقى الأبيات وتربك شعرية النسيج . وقد اضطر إلى تسكين الهاء الأولى في الفعل " يشبهْه " في البيت الثاني والفعل مرفوع لا جازم له .

وينهي قصيدته – وهي من سبعة وأربعين بيتاً – نهاية دعائية يعلن فيها حبه وعبوديته للممدوح :

أنـــا عبـــدك القـــنّ المحـــب ولا أنســـى الـــذي أوليـــت مـــن بـــرّ

وليس هناك ما يدعو إلى مثل هذا التصاغر ، وسبق له في القصيدة التائية التي مرت بنا أن دعا نفسه بخادم السلطان .

وآخر بيت في هذه القصيدة ينم عن تعاطي الخزرجي لشعر الألغاز الذي شاع في عصره ، إذ قال متكلفاً ، وهو يدعو للأشراف بطول العمر :

عمـــر مضـــى مـــن خمســـه سدســـاً ســـبع وثمـــن الســـبع مـــن عشـــر

وهذه القصيدة لا تخلو من بعض الوقفات المضيئة ولا سيما قوله :

يـــا مـــن تتـــوج بالمخـــافر لا بالـــدر واليـــاقوت والشـــذر

وحمـــى ثغـــور المســـلمين معـــاً بـــالبيض والعسّـــالة الســـمر

وبعزمـــة جفنيـــه صـــدمت بوميضـــها برقـــوق فـــي مصـــر

والنـــاس فـــي أمـــن وفـــي دعـــة والـــذيب يرعـــى الشـــاء فـــي القفـــر

والعلـــم عـــز وعـــز حاملـــه فتـــراه بعـــد الطـــيّ فـــي نشـــر

فهو يمدح السلطان بالمحامد النفسية – المعنوية التي تطمئن إليها نفوس الممدوحين ، لا بالقيم الشكلية الزائلة التي تعد من المعاني التي كانت تقال في مديح ملوك العجم . كما أثنى عليه بحماية المسلمين ومكامن الخطر في الثغور . وجميل منه توظيف الحيوان لبيان حياة الطمأنينة التي يعيشها الناس ، إذ أمن الضعيف بطش القوي كما أمنت الشاة أن ترعى مع الذئب ، فضلاً عن طلبه للطباق لتقوية المعنى كما في لفظتي الطي والنشر ، وهو لون بديعي أفاد منه في نصوص أخرى .

وكان الرثاء ميداناً واسعاً في شعره ، يدلل فيه على وفائه للأسرة الرسولية وعمق صلته بها ، وهو يجمع إلى هذا الرثاء مديحاً في هذه الأسرة ، وخاصة السلطان القادم الجديد . من ذلك رثاؤه للسلطان الأفضل ، ويدخل الخزرجي إلى غايته بمطلع يتوافق والغرض الذي نظمت من أجله القصيدة – وهي ثلاثة وخمسون بيتاً . إذ يقول(١١٠):

بكـــت الخلافـــة والمقـــام الأعظـــم والملـــك والـــدين الحنيـــف القـــيم

والشـــمس والقمـــر المنيـــر كلاهمـــا والأرض تبكـــي والســـما والأنجـــم

والبيـــت والحـــرم الشـــريف بمكـــة والحِجـــرُ والحجـــر اليمـــاني الأســـحم

ومـــدارس العلـــم الشـــريف وأهلـــه والمســـلمون فصـــيحهم والأعجـــم

وصاحبنا بارع في هذا التعداد لكل المحزونين بهذا المصاب ، وهم الدنيا كلها سماء وأرضاً ، وهو في كل ذلك مبالغ في هذا التأبين ، وقد دار كثيراً ولكنه لم يقع على معنى جميل أو تصوير لعاطفة صادقة الجزع . ويتحول لتأبين الفقيد منوهاً بشجاعته وحمايته للديار وإذلاله للملوك الآخرين ، مشيداً بآله الميامين ، محولاً جانباً من هذا الرثاء إلى ما يقرب من الشعر التعليمي التاريخي من حيث تعداد أسماء الملوك والموازنة بينهم وبين رموز تاريخية مشهورة . متخذاً من أساليب الاستفهام والنداء والدعاء معارض للحديث عن فارس الكتائب والليث الهصور ، متحولاً لإعلاء مقام السلطان الجديد : الحازم الجواد الهزبر ، داعياً له بالسلامة والسعادة . وحين يبحث الدارس عن ألوان الصنعة الفنية كالخيال المصوِّر والتشبيه المبدع والاستعارة الدقيقة ... فإنه لا يظفر من ذلك بشيء ، فالشاعر يطيل في غير طائل ، إذ لا يستطيع فكاكاً من هذه المعاني الموروثة / المطروقة في الرثاء . وحسبنا فيه قوله في هذه القصيدة : " جعلتها سداداً من عوز "(١١١).

وتموت زوجة السلطان الأشرف سنة ٧٩٦هـ ، ويكون لموتها صدى عميق ومؤثر في نفس الشاعر ووجدانه ، ويقول فيها مرثية رائقة ، ربما كانت من خير ما قاله الخزرجي ، ففيها اللوعة والأسى وصدق اللهجة والتأبين وجودة العبارة . ومنذ البدء نقرأ الكلمة البليغة والحكمة الرصينة والتصبّر الجميل والإيمان بالقدر حلوه ومرّه [١١٢]:

تعز ولا تجزع لنائبة الدهر وقابل عظيم الرزء بالحمد والصبر

ولا تكترث إن بان خطب فقد قضى بما قد قضى في الخلق ذو الخلق والأمر

بكل امرئ كأس من الموت متـرع ولكننا نسري إلى أجل يسري

فحمداً على حلو القضاء ومرّه وصبراً فإن الصبر من شيمة الحرّ

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وكل بذا يدري وإن كان لا يدري

وبعد هذا المطلع الخطابي الحِكمي يتحول للتذكير بعبر الزمان وما يجره على الأمم ، مصوراً عنف معاناته وعميق تأثره :

فيا ليلة ما كان أوحش بتّها وقد كنت ذا بأس شديد وذا صبر

فحسبي من يوم تقضى وليلة وحسبي من صدّ صددت ومن هجر

لقد طال ليلي بعد ليلتك التي تمنّيتُ فيها أنها ليلة الحشر

فإن كنت قد غُيبت عني فلم يغب خيالك عن عيني وذكرُك في فكري

وما أنت إلا الشطر مني حقيقة وما شطر شيء بالغني عن الشطر

وما راقني من بعد وجهك رائق ولا شاقني ما في العيون من السحر

سلام على ذاك الجبين ورحمة على شخصك المدفون في ذلك القبر

ويكاد يقترب هنا من حد الرثاء التي تتراءى فيه لقطات الجمال الأنثوي في تحفظ واضح . ويثني عليها بالتقى والورع في دعاء رقيق ، مختتماً قصيدته – كما بدأ – مسلماً بأمر الله الذي لا غالب له :

ولكن أمر الله للناس غالب وكلهم تحت الإرادة والقهر

والبناء الفني والمعنوي متماسك الأركان – في هذه القصيدة – متلاحم التراكيب ومتسلسل الأفكار ، بعيد عن التكلف والغلو المفرط في مثل هذا المقام . وقد أفاد من الطباق لتوضيح معانيه والمقابلة بين المضادات منها كما في : تعز ولا تجزع ، حلو القضاء ومره ، اجتماع وفرقة ، يدري ولا يدري . وهناك المقابلات المسجوعة في بدايات الأشطر ، وهو ما يكسب الأبيات إيقاعاً ونغماً كما في قوله في البيت المتقدم وأوله : وما راقني ..... وفي البيت بعده :

ولم يلهني قرب الحبيب الذي دنا ولم يشفني طيف الخيال الذي يسري

ويكثر التكرار في مطالع القصيدة ، ليعلي الشاعر نبرة الأسى والتفجع ، وليعظم من خلالها ما يسوقه من معان ليستعين به على تفصيل هذه المعاني ، وهذا ما نجده في تكرار ( كم ) الخبرية في أول الأبيات من ٦ – ٩ ، وكأنه يريد بها تكثيف التأسي والسلوان بكثرة الماضين من ملوك وغير ملوك على امتداد القرون ، وتكرار ما النافية في الأبيات ٢٢ – ٢٧ – ٢٩ وتكرار لو– الامتناع لامتناع – ليتحدث عن استحالة افتداء الأعزاء من الأموات ، وقد يتخذ من أسلوب الدعاء مدخلاً لتنويع معانيه وطرائف عرضه ، كما في قوله :

ولا زال عفو الله يسقي في ضريحها بمثعنجرٍ يغدو ومسحنفر يسري

وسقياً لأيام تقضت عهودها ورعياً لعصر قد تقضى من العصر

وكان جديراً بالشاعر أن لا يثقل هذا الرثاء المتدفق بألفاظ ثقيلة الصوت مثل : مثعنجر ومسحنفر وهو يدعو بالسقيا بمطر منهمر غزير .

أما قصيدته المسماة بـ " الدامغة " التي مرت الإشارة إليها ، فربما كانت طويلة البناء والنَفَس ، حادة الأسلوب ، ذات منحى جدلي مع من يخالفونه في أمر من أمور الحياة ، وإلا لما سميت بهذا الاسم . وربما كانت القصيدة الدالية ٢ / ٢٣٢ التي ذكرها بعد حديثه عن دخول السلطان الأشرف ( زبيد ) في عسكره المنتصر ، من نظمه ، ولكنه ذكرها بعد عبارة يُكثر من ترددها ( ولسان الحال ينشد ) فالكثير من مفردات هذه القصيدة ومعانيها ونسيجها قريبة من معجمه الشعري وأفكاره وصياغاته وخاصة ما ورد في الأبيات ١٦– ١٨– ٢١– ٢٣– ٢٥ وربما أراد بها تعظيم السلطان المنتصر .

وإذا كان الخزرجي الأديب كثير الرواية للنصوص الشعرية وغير الشعرية ليوثق حديثه التاريخي ويزيده شفافية ، فإن ذلك يعني مدى إفادة مشاعرنا من محفوظه التراثي من حيث ألوانه وموضوعاته ومعانيه ، وانعكاس ذلك على نسيجه الشعري . وكان القرآن الكريم من أبرز مرجعياته في شعره ونثره وقد تجلت مثل هذه الإفادة في قوله راثياً السلطان الأفضل ، وقد مرت بنا القصيدة :

حكم على كل البرية لم يكن مستأخر فيهم ولا مستقدم

فهو ينظر في هذا المعنى إلى قوله تعالى في سورة النحل ، الآية ٦١ ﴿ .... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ . ومن هذا اللون قوله في القصيدة نفسها :

واطاعة الدهر العصي وأهله طوعاً وكرهاً كافر أو مسلم

وهو تصرف ذكي واضح نهل فيه من الآية ٨٣ في سورة آل عمران : ﴿ .... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ . ويمدح السلطان الأشرف في تائيته التي تقدمت الإشارة إليها فيقول :

يا ربّ مهد للممهد ملكه وانصره واحرسه من الآفات

وافتح له فتحاً مبيناً واكفه صرف الردى وتغيّر الحالات

وقد لا نحتاج هنا لبيان مدى اقتباسه للآية الأولى في سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ وتوظيفه لمعنى الآية الثالثة فيها ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ في شطره الثاني في البيت الأول .

وكان النابغة الذبياني واحداً من الشعراء الذين استعان بشعرهم في عرضه التاريخي ، فليس غريباً أن يلتقط بعض معانيه ويكثف صورته حين يمدح السلطان الأشرف :

يغزو فيغزو الطير فوق جيوشه والوحش معه تسير في الجنبات

وكان النابغة قد مدح عمرو بن الحارث الغساني فقال :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

وفي هذه القصيدة قال كذلك :

وأخو الفضائل والفواضل والنهى والمكرمات الغرّ والجفنات

وواضح أن شاعرنا يفيد من معجم حسان بن ثابت الشعري حين قال مفتخراً :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولأن الشاعر أكثر في المديح ، فقد تكررت معانيه في هذه القصيدة أو تلك . فقوله في الأشرف :

ملك له تعنو القبائل طاعة وله يدين الكسروي العاتي

سبق أن صاغه في رثاء السلطان الأفضل قائلاً :

ملك له عنت الملوك وأذعنت قهراً ودان الأغلب المتعظّم

وإعجابه بهذا المعنى ، أو نضوب جديده المعنوي كان وراء تكراره ثالثة في مدح الأشرف كذلك إذ قال :

هـــذا الـــذي تعنـــو الملـــوك لـــه فاســـأل ملـــوك العصـــر فـــي العصـــر

وإذ يرثي السلطان الأفضل يقول داعياً له بالسقيا :

فـــي كـــل يـــوم بكـــرة وعشـــيّة مـــا غـــردت ورق ولاحـــت أنجـــم

يكرر الشطر الأول كاملاً في دعائه لدوام عز السلطان الأشرف :

فـــي كـــل يـــوم بكـــرة وعشـــيّة قبـــل الصـــلاة وبعـــد كـــل صـــلاة

ومن هذا التكرار الذي صار علامة ضعف في العطاء المعنوي قوله في رثاء السلطان الأفضل :

وأخـــو الفضـــائل والفواضـــل والـــذي فـــي كـــل كـــف منـــه بحـــر خضـــرمُ

إذ عاد إليه في مديح الأشرف ( وقد مر بنا هذا البيت ) فقال :

وأخـــو الفضـــائل والفواضـــل والنهـــى والمكرمـــات الغـــرّ والجفنـــات

وحديث التكرار في معانيه يقودنا للإشارة إلى أن الخزرجي كرّر قوافيه في القصيدة الواحدة ، وإن جهد في الابتعاد إلى حدّ ما عن السقوط في دائرة الإيطاء ، ففي قصيدته الميمية التي وقفنا عندها كانت قافية البيت العاشر " الوابل ... المثجم " وفي البيت ٣٤ " الغيث الهتون المثجم " وفي البيت ٣٧ " لا يثجم " وقافية البيت ١٤ " مسلم " وكذلك هي في البيت ٥١. وكرر قافية البيتين ٢ و ٣٨ ، والبيتين ٧ و ٢٩ . والبيتين ١٣ و ٥٠ غيرها . ومثل هذا التكرار نجده في قصيدتيه الرائيتين اللتين وقفنا عندهما .

وتقود الرغبة في تفصيل معانيه والمقابلة بينها إلى تكرار ( ذا ) اسم الإشارة و ( ذا ) بمعنى صاحب فمن الأولى قوله في قصيدة الرثاء الميمية :

والصـــعب ذو القـــرنين والهـــدّاد والـــ ـــــصبّاح ذا يبكـــــي وذا يتـــــرحم

ومن الثانية قوله في قصيدة الرثاء الرائية :

فيـــا ليلـــة مـــا كـــان أوحـــش بثهـــا وقـــد كنـــت ذا بـــأس شـــديد وذا صـــبر

ومثل هذا : البيت ٤٩ في القصيدة الرائية ، والبيتان ١٣ – ٢٤ في القصيدة التائية . وينظر البيت الأول ٢ / ١٧٢ ونذكر في هذا السياق كثرة تكراره لما ولا النافية ولا النافية للجنس مستعيناً

بواو العطف ، تنظر أبياته في قصيدة الرثاء الميمية ١٦ – ٣٥ – ٣٦ – ٤٩ – ٥٠ ومدحته الرائية ٤ – ٧ ، ومرثيته الميمية البيتان ٢٣ – ٢٤ .

ولأنه كاتب مؤرخ ، فقد شاعت في شعره مفردات نثرية كان يستكمل بها معانيه أو أوزان أبياته مثل : لا شك ، معاً ، قاطبة ، كلا ، كلهم ، جميعهم ، يقول في مرثيته الرائية : ٢٣ – ٢٤ :

ولا شك عندي ثم لا شك إنما تنقلت من قصر منيف إلى قصر

ويقول في قصيدة المدح الرائية :

وحمى ثغور المسلمين معاً بالبيض والعسّالة السمر

وتنظر في هذه القصيدة الأبيات ٦ – ٢٢ – ٢٣ – ٢٥ – ٢٦ – ٣٢ وميميته في الرثاء البيت ٢ .

وقد تتهافت عنده الصورة الشعرية لسذاجة اللون الاستعاري ، كما في رثائيته الميمية :

فتغيّر القمر المنير لفقده والشمس كاسفة تنوح وتلطم

فالفعلان الأخيران لا يرسمان إلا منظراً مشوشاً لا يسر الناظرين .

وقد تقدم القول في إكثاره من الطباق وطلبه للجناس الناقص لتقوية المعنى وتزيين الشكل :

يا أيها الجبل الأشم المرتقى يا أيها البحر الخضم الخضرم

وقد يغالي في المديح معرفاً بالممدوح وآبائه وأجداده فيما يسمى عند البديعيين بـ " الاطراد " كقوله :

الأشرف بن الأفضل بن علي بن دا ود بن يوسف قسور الغابات

وللخزرجي مجموع رسائل مفقود ، إذ كان ناظماً ناثراً ، وهذا يعني أن الدارس لا يستطيع أن يكوّن صورة واضحة عنه ناثراً . ولكن الذي بين أيدينا من أقواله يمكننا من رصد نثره وإبراز ما يتميز به من قيم تعبيرية جديدة تحسب له ، أو ضعيفة مرتبكة تحسب عليه . وكان السجع أسلوباً أثيراً لديه ، وهو كثير في كلامه الوصفي للأعلام والأحداث ، وفي ما ينمقه من ديباجة . من ذلك قوله في أول رسالة إخوانية [١١٣]: أمتع الله بطلعتك المضيّة وشمائلك المرضية ، وحزت خيراً ووقيت شراً ... " وهي طويلة من هذا النمط . وله يصف تقليد السلطان المظفر لابنه الملك الأشرف ولاية العهد فيقول : " اختصه والده بالملك العقيم ، ومكنه أزمّة الأمر القويم " وخرج التقليد الكريم ، بمشهد من الملوك العظماء والحجاجح الكرماء ، ناطقاً بفصل الخطاب وإنارة التحقيق والصواب ، بما يربى على

الروض غب السحاب ، ويزري بفريد الدرّ في عنق الكعاب ، قائلاً بعد الحمد والثناء ، والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء "[١١٤].

وقد نحا بالجملة نحو الإطالة ، والتزم السجعة الواحدة في ثلاث جمل أو أربع ليبرز الإيقاع الصوتي في الآذان ، ويستكمل الصورة الوصفية لكل معنى من معانيه . وقد تقصر عنده الجملة حين يركز وصفه للأشخاص دون التزام ثابت للسجع كما في قوله : " وكان الأمير شمس الدين عاقلاً كاملاً ، صالحاً تقياً ، له رأي ورئاسة ونظر وسياسة "[١١٥] والمقطعان الأخيران يجمعان بين التوازن والسجع . وقد يجتمع في صياغاته سجع غير ملتزم ، وبناء متناغم المخارج ، كما في وصفه السلطان عمر : " وكان السلطان نور الدين ملكاً كريماً ، حاذقاً حليماً ، حسن السياسة ، سريع النهضة عند الحادثة ، وكان شريف النفس عالي الهمة ، فارساً شجاعاً مقداماً محراباً "[١١٦] ونتبين سلاسة العبارة هذه ، ووضوح المعنى في نص آخر يصف فيه السلطان عمر وما تميّز به " من حسن السيرة وصلاح السريرة ومحبة الناس له ، وانقيادهم لأمره طوعاً وكرهاً . وكان مع هذا حازماً عازماً سريع النهضة ... "[١١٧] وواضح أن الخزرجي يكرر مفرداته وطريقة بناء جملته قصيرة متناغمة ، ولكنه يحرص على الأداء السهل وتخير المباني والمعاني على الرغم من أن المؤرخين – وهو أحدهم – تنصب عنايتهم على الناحية الموضوعية في الدرجة الأولى . وفي هذا النص ما يدلنا على أن القرآن الكريم كان من أبرز مناهله ومرجعياته مفيداً من مفرداته وصياغاته لتعميق معانيه وتوضيحها ، وذلك ما تشير إليه جملته " وانقيادهم لأمره طوعاً وكرهاً " فهو فيها ليس بعيداً عن قوله تعالى في الآية ٨٣ من سورة آل عمران ﴿ ... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ... ﴾ . ونجد مثل هذه الإفادة من النصوص القرآنية في قوله يصف رجلاً : " كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ويأخذ كل سفينة غصباً "[١١٨] فهو يقتبس من قوله تعالى في سورة الكهف ، الآية ٧٩ : ﴿ ... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ وهكذا يتداخل القول القرآني في صياغات الخزرجي النثرية دونما انقطاع أو تعثر ، وفي هذا مؤشر على توافق حسه الديني وبنائه المعنوي ، انظر إلى قوله يصف قوماً نتنت روائحهم : " فهلك كثير منهم في مدة يسيرة وألقى الله بينهم العداوة والبغضاء ... "[١١٩] وآخر النص توظيف معنوي لما ورد في الآية ٦٤ من سورة المائدة ﴿ ... وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء ... ﴾ وقريب من هذه الخصيصة الأسلوبية حرصه على التنسيق المعنوي والتداخل البنائي بين عبارته النثرية وشواهده الشعرية ، في صياغة متلاحمة قلما يشعر القارئ بانفصام بين هذين الضربين من الكلام ، من ذلك وصفه مسير السلطان المجاهد محاطاً بعسكره من تعز إلى زبيد : " ودخل زبيد يوم الثلاثاء حادي عشر شوال ... "[١٢٠].

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما تبصرن بالآذان

ومثل هذا حديثه عن أحد القادة[١٢١]: " وطلب لهم من السلطان ذمة فأذمّ عليهم ذمة شاملة :

وحلفهـــم بـــردّ البـــيض عـــنهم وهـــامتهم لهـــم معـــه معـــار

وتتضح لنا إفادته من التراث القديم في حديثه عن تولي السلطان المؤيد للحكم [١٢٢]: " فاتفقت آراء ... أن يسوس الدولة نعمانها ، وأن يتسلم الحكمة لقمانها ..." وهو إنما يشير إلى النعمان ملك الحيرة وإلى لقمان الحكيم ، في صياغة تعمق المعنى وتكثّف الثناء والبناء من خلال الذكر الحميد لمثل هذه الرموز التاريخية حكماً وحكمة .

ولكن رتابة السرد وتشابه الأحداث وما يعتور المؤرخ أحياناً من تعب ونصب ، أدت إلى عدم التريث في اختيار المفردات أحياناً ، أو تنسيق الكلام التنسيق المطلوب . ولذلك دخل بعض كتاباته شيء من ارتباك وضعف في بناء الجملة كما في قوله : " فلما صار في مكة نقل الشريف عجلان أن السلطان يريد يولي أخاه البلاد ، ويترك معه عسكراً من اليمن ، وأنه يريد يلزمك ويسير بك ...."[١٢٣] ولو أعاد النظر في مثل هذه الصياغة لوجد أن الأولى أن يقول : يريد أن يولي ... ويريد أن يلزمك ... وحذف أن في مثل هذه الحالات يقرب البناء من الاستعمال العامي ، فضلاً عن استعماله للفعل " لزم " بمعنى " قبض عليه " وهو استعمال قد لا يؤيده المعجم العربي وقد يقترب من التعبير الشعبي كما في قوله : وكان الأمير ... متغير الخاطر من عمه ..."[١٢٤] وقوله : " فأمر السلطان على الوزير أن يأمر كتاب الدرج ..."[١٢٥] وحرف الجر "على " زائد ، لأن الفعل أمر يتعدى بنفسه ، قال دريد بن الصمة[١٢٦]:

أمـــرتهم أمـــري بمنعـــرج اللـــوى فلـــم يســـتبينوا النصـــح إلا ضـــحى الغـــد

وانظر لهذه الاستعمالات الوصفية : انحلت عزائمهم " [١٢٧] "فتشوش السلطان "[١٢٨] " وتزوج السلطان على كريمته "[١٢٩] وعلى هنا زائدة .." استقر السلطان في بلاده ولبست البلاد وعملت الفرحات سبعة أيام "[١٣٠] وربما كانت جملة " لبست البلاد " بحاجة إلى فضلة تكمل سياق المعنى ." واحتز من رؤوس القتلى في هذه الوقعة أكثر من مائة رأس ، وطلعت الرؤوس إلى تعز "[١٣١] والجملة الأخيرة يتعثر معناها بانكسار لفظها ، ولعله يريد أرسلت أو بعثت وما يشبه هذا . ويوهم هذا الارتباك في صياغة الجمل بوقوع أخطاء ، كما في قوله : " ونهبوا قرية عقافة وسبوا حريمها وباعوهم كما يباع الرقيق " وربما كان الأولى أن يقول "باعوهن "[١٣٢] ومن هذا قوله : " وكان جملة من قتل من أهل تعز نحو من اثني عشر رجلا "[١٣٣].

ونصب لفظة "نحو " هو الأصح خبراً لكان . وقريب من هذا : أغار إلى بدل على ، ومُرجلين بدل راجلين ... وكثرت في لغته الكتابية المفردات الأعجمية التي شاع استعمالها في عصره سواء ما يتصل منها بالألقاب والشؤون والإدارية أم الشؤون الاجتماعية من ذلك : الطواشي ، الآدر ، الطبر دارية ، المدارية ، الشربخانات ، الحاسكية ، الاصباهية ....[١٣٤]ومن أسماء العطور والأطعمة والصحون ، القرطم ، الشند ، الزناجين ، السوبيا، الفُقاع ، الكاذي والفانيد وغيرها ...[١٣٥].

وكثيراً ما يعبر الخزرجي عن تذوقه لقصائد أو مقطوعات الشعراء الذين يروي لهم أو يستشهد بشعرهم ، ويكشف عن استحسانه لها ، بأقوال تتقارب بدلالاتها ومفرداتها ، وهو في هذا يصدر عن ذوق أديب مؤرخ ، لم تتأصل فيه القدرة على بيان أوجه الفن في النص ، ولعله لم يكن يمتلك الأدوات المعياريّة التي تمكنه من ذلك ، فضلاً عن أن الميدان ميدان تاريخ وليس مجال أدب ونقد . ولذلك كان يصدر روايته للنصوص الشعرية أو يختمها بعبارات عامة الدلالة ومفردات تتكرر هنا وهناك ، وذلك يرجع كذلك إلى كثرة الشعراء الذين روى لهم في ثنايا كتابه ، ولتقارب المستويات الشعرية بشكل عام وخاصة الشعراء الفقهاء منهم . ومن أقواله في هذا السياق : " قصيدة بديعة الاستهلال " قصيدة بديعة الاستهلال بارزة ( نادرة ) في قالب الكمال " وقد يعقب على القصيدة كلها قائلاً :" قصيدة بديعة " " قصيدة طنانة من مختارات شعره " " قصيدة طنانة من عيون شعره " وربما قال : " له شعر مستحسن ، كان يقول ( الشاعر ) شعراً حسناً على طريقة الفقهاء "[١٣٦]وقد سبقه إلى هذا اللون من التعقيب النقدي بمثل هذه الصياغات الموجزة الدالة كثير من العلماء المؤلفين ومنهم أبو منصور الثعالبي في اليتيمة ولباب الآداب وغرر البلاغة . ويطيل الخزرجي الوقوف عند الشعراء الكبار فيقول :"شعره كثير وديوانه مجلد ضخم والغالب عليه الجزالة " وقد يقوّم الشاعر قائلاً :" كان ابن حمير شاعراً فصيحاً جيد القريحة حسن البديهة " أو" كان شاعراً فصيحاً كريماً " " كان يغلب عليه فن الأدب ويقول شعراً حسناً ""كان شاعراً فصيحاً بليغاً مداحاً هجاءً حسن السبك جيد المعاني من أفصح الشعراء المجودين "[١٣٧] ولعل هذا النص من أوفى نصوصه النقدية شمولاً ، قاله في الأديب البارع منصور بن عيسى بن سحبان ( ٧٥٢هـ) . فقد تناول فيه الإجادة في الموضوعات الشعرية وبناء القصيدة وفصاحة المفردات واستحسان الأفكار والمعاني .

وقد يعلق تعليقاً تحميدياً على بعض النصوص النثرية ، كأن يقول في نص تقليد بأنه :" فصل الخطاب ... يزري بفريد الدر في عنق الكعاب " ويمتدح أحد الأعلام بأنه كان " خطيباً مصقعاً "[١٣٨].

وصفوة القول : أن المصنف حلّى جيد رواياته الشعرية والنثرية بتعليقات لا تخلو من تعميم ، ولكنها تكشف عن مؤرخ متأدب متذوق ، أوقفه منهجه التاريخي عند الحدود التي توحي بأنه حاول تأديب الرواية التاريخية ، وليس ذلك بغريب على من " اشتغل بالأدب ولهج بالتاريخ "[١٣٩] .

تصحيح الكتاب وإخراجه

من يقرأ مقدمة المصحح الأول الشيخ محمد بسيوني عسل – رحمه الله – يجد ما يأتي :

- أن الطبعة الأولى للكتاب اعتمدت على نسخة فوتوغرافية للنسخة الأصلية الوحيدة التي كانت ملك معتمد خان عالمكبري ، ثم انتقلت منه إلى قمر الدين خان أحد وزراء محمد شاه ثم أهداها ورن هيستجز إلى دار كتب ديوان الهند بلندن . وأن المصحح لم يقابل النسخة الأصلية بالمصادر القديمة لأنه – كما يقول – لم يحصل على مثل هذه المصادر .

- أنه طبع الممحو والخفي كما هو في النسخة الأصلية .
- أنه أقام أوزان عدد عظيم من الأبيات الشعرية المكسورة مع المحافظة على المعنى الذي قصد إليه القائل قدر الاستطاعة .
- أن المصحح وضع فهارس علمية قيمة للأعلام والأماكن والقبائل والفرق والحيوانات والأيام وللكتب والقصائد التي وردت في الكتاب ، وهو عمل طيب غني الفائدة .

أما مقدمة المصحح الثاني الأستاذ محمد علي الأكوع – رحمه الله – الذي صدرت طبعته الثانية للكتاب سنة ١٩٨٣م فنجد فيها :

- الإشارة إلى ما ذكره المصحح الأول عن الصعوبات التي واجهها في طبع الكتاب بما فيه من بياض وفراغ ، ( ومن تصحيف وتحريف في الأصل ) والعبارة ما بين القوسين لم يقلها المصحح الأول في مقدمته ، وإنما ذكر أنه طبع الخفي كما هو ، وقد لا يكون في هذا الخفي تصحيف أو تحريف .
- الاعتذار للمصحح الأول لقلة معلوماته وفقدانه المراجع وأنه ليس بخبير عن رجالات ( اليمن ) وأسماء بقاعه وبلدانه .
- أن ما قامت بنشره وطبعه وزارة الإعلام من كتب التراث اليمني كان على علاته ، وبالتصوير على عواهنه بدون مراجعة على أصولها وتوثيقها وتصحيح ذلك ، ولا بوضع مقدمة ولا ترجمة للمؤلف ( المقدمة ٥ – ٧ ) .
- أن مركز الدراسات والبحوث اليمني التمس منه مراجعة وتصحيح الكتاب ( العقود اللؤلؤية ) ليعيد طبعه من جديد وبثوب قشيب .
- أن المصحح – كما يقول – قام بتصحيح الكتاب بجزأيه من فاتحته إلى خاتمته ، كلمة كلمة وسطراً سطراً وصفحة صفحة ، وجلى عنه المبهمات وغطى ما فيه من هفوات ، وملأ ما فيه من فراغ ، وبعثه حياً سوياً ، وقدمه للقارئ كاسمه منظماً منضداً ، منقحاً مهذباً في سمطه الدري الوضاء .

ونحن نحمد للمصحح الأول جهده الرائد في بعث هذا الكتاب مبكراً عام ١٩١١ م ، ونثني عاطر الثناء لما قدمه المصحح الثاني للتراث اليمني من خدمة جليلة في مجموع ما أصدره من كتب هذا التراث ، ومنها كتاب " العقود " الذي سعى لإخراجه بحلة جديدة ، فقابل مادته ببعض المصادر وأشار بعض الإشارات النافعة في حواشيه .

ملاحظات واستدراكات على التصحيح : وهي كثيرة ومتنوعة أخلّت بالكتاب ، ولعلها تنفع من يتصدى لهذا الكتاب مرة ثالثة محققاً تحقيقاً علمياً كاملاً ، وليس تصحيحاً فحسب ، كما ثبت على غلاف الطبعة الثانية ، وأبرزها :

– جاءت ترجمة المؤلف الخزرجي موجزة غاية الإيجاز ( بحدود صفحتين ) وهذا الإيجاز لا يقدم صورة واضحة عن حياة المؤلف كما يجب أن يعرفها القارئ . في حين نجد المصحح يفصّل في تراجمه للآخرين ومنهم بهاء الدين الجندي حين حقق الأكوع كتابه " السلوك " وابن الديبع حين حقق كتابه " قرة العيون " كذلك . علماً أن الطبعة الأولى خلت من التعريف بالمصنّف .

– لم يفصل القول في كتب الخزرجي كافة ، وخاصة ما ذكره عنها صاحب الضوء اللامع والزركلي في " أعلامه " ومقدمة وزارة الأعلام والثقافة لكتاب " العسجد المسبوك " الذي يحتفظ المصحح بصور له في خزانته الخاصة . ( المقدمة ١ / ١٠ ) .

– لم يعرّف بأسماء الأعلام والأماكن التعريف المطلوب الوافي ، فما ذكره في حواشي الجزأين لا يزيد عن عشرة تعريفات ، وفي الكتاب الكثير الكثير مما هو بحاجة لمثل هذا التعريف . وهو بذلك لم يتلاف النقص الذي أخذه على الإصدارات الأخرى لوزارة الإعلام اليمنية .

– إن مقابلة " العقود " بالمصادر اليمنية الأخرى ليست وافية ، حقاً إنه رجع إلى " العسجد المسبوك " في حدود سبعين مرة ، ولكن الذي تركه دون مقابلة أكثر بكثير مما هو بحاجة لمثل هذه المقابلة ، وخاصة المواضع التي تساعد على إخراج الكتاب منضداً منقحاً وضاء كما أشار إلى ذلك في مقدمته . ولديّ جدول يضم ما لا يقل عن أربعين نصاً شعرياً – فقط – بين قصائد ومقطوعات مروية في العسجد كانت بحاجة إلى مقابلة لما بينها من اختلافات ولما تضفيه من تصحيح لبعض الروايات في العقود مما يحتاج إلى تعديل وتوضيح ولما بينهما من زيادة ونقصان ، وهذا يعني أن إشارته في الحواشي عن المقابلة بالعسجد ناقصة جداً .[١٤٠]

– أن بعض هذه المقابلات لم تتسم بالدقة ، من ذلك أنه يصحح ما يبدو أنه غير واضح أو ملائم للمعنى عازياً ذلك في حواشيه إليه . وإذا كان حقاً قد قابل بالعسجد فإن تلك المقابلة تغنيه عن الاجتهاد . من ذلك تصحيحه في حاشية ١ / ٤٤ ، فاللفظة المصححة موجودة في العسجد ١٨٦ . وكذلك ما أورده في الحاشيتين ١ – ٣ من ١ / ٤٥ فإن الرواية الصحيحة في العسجد ١٨٨ . وأما تصحيحه في الحاشية ٣ في الصفحة نفسها فخطأ ، وصوابه في العسجد " حشوناها " بدل " غشتنا " . وفي ١ / ٢٥١ السطر الثالث من الأخير لفظة " بارزة " وهي في العسجد ٢٨١ " نادرة " وهذه أدق معنى . وجاء تصحيحه في حاشية ١ / ٩٥ نقلاً عن العسجد ٢١٨ غير دقيق ، فالصحيح " فساروا بهم من يومهم ذلك فلما ... " ويقابل في ١ / ١٠٧ بالعسجد ٢٢٥ مقابلة ناقصة وغير دقيقة . فالبيت في العقود :

صعدت بنا أعمال صعدة صنّحاً تبارى كأمثال الشموس تهتّما

وهو في العسجد :

صـــعدن بنـــا أعمـــال صـــعدة ســـحّناً تبـــارى كأمثـــال الســـراحين ســـهّماً

فضلاً عن قوله في الحاشية : في العسجد كمثل ، وهي كأمثال كما تقدم البيت .
وفي ١ / ١٢٤ يروي البيت هكذا :

مقـــام يحـــق لـــذي الكبريـــا ء أن يبدّلـــــــه بالخضـــــــوع

وفي الحاشية : " هكذا في الأصل وهو مختل الوزن . ولم يكن موجوداً في العسجد " وحين نعود إلى العسجد ٢٣٨ نجد البيت وروايته هكذا ، دون اختلال ( وهو من بحر المتقارب ) :

وقـــام يحـــق لـــذي الكبريـــاء بـــــه أن يبدلـــــه بالخضـــــوع

فهل رجع المصحح إلى العسجد حقاً ؟ والذي لم يكن موجوداً في العسجد هو البيت الثاني من هذه الأبيات وهي ثلاثة .

وفي ١ / ٥٣ يؤرخ تسلم السلطان نور الدين عمر حصن التعكر بسنة ٦٣٧هـ والصحيح ٦٢٧هـ . وتسلم حصن حب سنة ٦٣٨هـ والصحيح ٦٢٨هـ ، وذلك ما يقتضيه سياق الأحداث الحولي ، ولو عاد إلى العسجد ١٩٣ لوجد التاريخين الصحيحين . وحين يقابل في ١ / ٢٣٨ مع العسجد ٢٧٥ ( مع ملاحظة أنه لا يذكر صفحات العسجد حين يرجع إليه في كل مرة ) تكون المقابلة ناقصة . من ذلك قول الخليفة في السطر السابع من الأخير : " لقد خليت بيننا وبين الانتفاع به يا شيطان " فهو لا يشير إلى لفظة " شيطان " الساقطة ، ولا يذكر أن لفظة " خليت " هي في العسجد " حِلْت " وهي اللفظة الموافقة للمعنى في هذا الموضع . وفي الحاشية ، في الصفحة نفسها " من شعراء " وليس " من شعر " وفي ٢ / ٦٦ حاشية يقول : في العسجد " سار إلى " ولكنها في العسجد ٣٧٩ " صار " وفي ١ / ٣٥٨ ثلاثة أبيات شعرية غير منسوبة ولو رجع إلى العسجد ٣٣٤ لوجدها منسوبة للمتنبي ، وهي كذلك في ديوانه . وأكاد أقول : إن المقابلة بالعسجد تقوم على الانتقاء وإسقاط الفرض العلمي في التصحيح أو التحقيق ، والظهور بمظهر المصحح أو المحقق الدقيق ، وإلا فإننا لو دققنا في نص من النصوص التي قابلها – على سبيل المثال – وهو قصيدة تتألف من سبعة وأربعين بيتاً ١ / ١٠٩ لوجدناه يقف عند البيت ١٨ وهو :

وقـومي يـوم الـروع جـنّ وفـي النـدى بحـــور وحلـــم كالجبـــال ركـــود

ثم يقول في الحاشية : " في العقد حين وهو أصوب " . وهذا فهم خاطئ للمعنى . ورواية العقود والعسجد واحدة وهي الأصوب ، فالشعراء حين يفخرون بصولة القبيلة أو القوم يعبرون عن القوم الغاضبين بلفظة " الجنّ " والشاعر الفرزدق قال[١٤١]:

أحلامنـــا تـــزن الجبـــال رزانـــة وتخالنـــا جنـــاً إذا مـــا نجهـــل

ويقابل بالعسجد ٢٢٩ في إشارته إلى لفظة " بعونك " في البيت ٤٤ في القصيدة نفسها ، قائلاً : في العسجد بعزّك ، ولكن المقابلة الكاملة للقصيدة كانت تقتضي منه الإشارة إلى اختلافات أخرى كثيرة في الأبيات .

١ – ٢ – ٤ – ١١ – ١٣ – ١٦ – ١٧ – ١٨ ( المـذكور ) – ١٩ – ٢٠ – ٢١ – ٢٢ – ٢٥ – ٢٧ – ٢٩ – ٣٢ – ٣٣ – ٤٠ – ٤١ – ٤٤ ( وهو البيت الوحيد الذي قابله ) فهذا أنموذج يظهر سطحية المقابلة وعدم جديتها . وكان من الفروض أن تكون المقابلة مع العسجد في هذه الفصول شاملة ، لأن ما فيه يكاد أن يكون بالنسبة لأي مصحح نسخة ثانية للعقود – وإن كان ما في العقود أكثر تفصيلاً في غالب الأحيان – في حين أننا نجد مجموع مقابلاته في حدود ثلاثين مرة ، وهي بمجموعها موجزة ناقصة .

وعدم الدقة هذه ، نتبين لها أمثلة في كتاب " قرة العيون " الذي حققه المرحوم الأكوع ، مما له صلة بكتاب " العقود " فهو يعلق على قصيدة دالية طويلة في القرة ٢ / ١١٥ تعليقات كثيرة ، لا نجدها على القصيدة ذاتها في العقود ٢ / ٢٣٢ ومنها : إشارته إلى الإيطاء في البيت الخامس إذ يقول في الحاشية ٣ في الفقرة : " ثم وجدت في العقود اللؤلؤية قبل هذا البيت أبياتاً ، وحينئذ فلا إيطاء " وهذا القول ليس دقيقاً ، فما بين هذا البيت والبيت المتقدم عليه ذي القافية المتشابهة وهي " البلاد " خمسة أبيات فقط ، وهذا العدد من الأبيات لا يكفي للقول " بلا إيطاء " فضلاً عن أن قوله يوحي بأن العدد أكثر من خمسة أبيات ! وفي مثال آخر يشير المصحح في القرة ٢ / ٣٣ حاشية ٣ إلى أنه صحح لفظة في نص من نصوص العقود ، وحين نرجع إلى النص في العقود ١ / ١١٥ نجد اللفظة مصححة كما ذكر ولكن دون الإشارة إلى ذلك في الحاشية ! وكان جديراً به أن يذكر هذا في كتاب العقود وهو أمر لازم ، وهذا يقودنا إلى تساؤل : هل كان المصحح يجيز لنفسه التصحيح في مواضع أخرى دون الإشارة لذلك ؟ وآخر ما نقف عنده في هذا المجال النص الذي ذكره المؤلف عن دخول رسول ملك الهند على السلطان عمر الرسولي ١ / ٨١ : " فلما خرج قال لترجمانه ... ثم قال قولاً بالعجمي فوجده : يأخذها ذو شامة من بعده – ويلتقيها مسعد من بعده – لا تنقضي من نسله وولده . وبعد مقابلة المصحح لهذا النص بالعسجد ٢٠٧ قال في الحاشية : عبارة العسجد ؛ ثم قال قولاً بالعجمية لوحده ترجمانه شعراً :

يأخـــذها ذو شـــامة فـــي خـــده ويلتقيهـــا مســـعد مـــن بعـــده

لا تنقضـــــي عـــــن نســـــله وولـــــده

والمقابلة جيدة ، ولكن المصحح كتب الأشطر الشعرية الثلاثة وكأنها نثر ، في حين أنها كتبت في العسجد بالرسم الشعري المطلوب ولا حاجة للتقيد بطريقة كتابتها النثرية كما هي في الطبعة الأولى .

ثم إن لفظة " فوجده " هي في العسجد كما هي في العقود ، ولا تقرأ " لوحده " كما ذهب إلى ذلك المصحح ، ولعل " فوجده " أقرب للمعنى من " لوحده " وقد تكون اللفظة مصحّفة عن " موجزه " والله أعلم .

– إنه يتابع المصحح الأول بالتغيير في الأصل دون أن يذكر في الحاشية مصدر هذا التغيير ، وقد يكون هذا التبديل بعيداً عن الرسم الأصلي كما في ١ / ١٩ ، فالبيت في الأصل هكذا :

ويظهـــر رايـــة المنصـــور فـــيهم علـــــى خـــــاء مخففـــــة ولام

وقد كرره المصنف بهذه الصيغة في ١ / ٥٦ ولكننا نجد المصحح يستبدل لفظة " مخففة " بـ " إذا نطقوا " وقد ورد البيت مرة ثالثة في ١ / ٢٠ بصيغة " إذا نطقوا " فلعل المؤلف هو الذي تعمد ذكر البيت بروايتين مختلفتين .

وتتكرر متابعته للمصحح الأول في التغيير دون مبرر مقبول كما في ١ / ١٨ ، إذ ورد البيت الشعري هكذا :

لأغـــزو أعبـــداً جهلـــوا مكـــاني ( ســـلالة ) يـــا فـــث وقبيـــل حـــام

إذ يشير المصحح في الحاشية إلى أنه وضع لفظة " سلالة " بدل " من بني " لتلافي اختلاف الوزن ولكن الأقرب إلى الأصل أن تكون – كما أرى – ( من ابني ) بصيغة التثنية أو " من ابنا " بحذف الهمزة الأخيرة . فيستقيم المعنى والوزن ونتلافى مثل هذا التغيير البعيد . ( تنظر مثل هذه التغييرات في ١ / ٣٠ – ٣١ – ٣٥ – ٣٦ ... ) .

– لا ينسب المصحح الأبيات – وخاصة المشهورة – إلى أصحابها ومنها هذا البيت ١ / ١٢٢ :

فـــإن كنـــت مـــأكولاً فكـــن أنـــت آكلـــي وإلا فـــــأدركني ولمـــــا أمـــــزّقِ

وهو للممزّق العبدي وبه لقّب . ( لباب الآداب ٢ / ٢٦ مع شيء من التغيير ) . وكذلك هذا البيت ١ / ٦٣ :

إذا لـــم يكـــن إلا ســـنة مركبـــاً فـــــلا رأي للمضـــــطر إلا ركوبهـــــا

وهو للكميت بن زيد الأسدي ، مع شيء من الاختلاف في لباب الآداب ٢ / ٥١ . وهذان البيتان في ١ / ١٧١ :

هـــذي منـــازل ســـادة أجـــواد ومحـــل جـــود شـــامل وأيـــادِ

قصـــر الخورنـــق والســـدير مقصّـــر عنـــه وذو الشـــرفات مـــن ســـنادِ

فهما للأسود بن يعفر . لباب الآداب ٢ / ١٧ مع شيء من التغيير . فضلاً عن خمسين بيتاً – بعضها مشهور غير منسوبة في العقود وجدتها في ديوان المتنبي كالآتي ٦٨/١– ٨٤ – ٨٩ – ١٠٢ – ١١٦ – ١٣٢ – ١٥٠ – ٢١٢ – ٢٢٤ يقابلها في العقود على التوالي ٢ / ٦٩ – ٨١ – ١٥٢ – ١٤١ – ١ / ٣٥٨ – ٢ / ١٤٤ – ١٢٩ – ٦٦ – ١٥٥ ، وفي جـ٢ من الديوان ٦٠ – ٧٢ – ٧٦ – ٧٧ – ١٠٩ – ١٢٥ – ١٣٥ – ١٣٩ – ١٥٤ – ١٥٤ – ١٥٦ – ١٦١ – ١٧٢ – ١٧٧ – ١٩٥ – ٢١٢ – ٢٦١ – ٢٧٥ – ٣٢٢ يقابلها في العقود على التوالي ٢ / ٧٤ – ١٥٤ – ١ / ٢٥٥ – ٢٥٥ – ٢ / ١١٤ – ٦٧ – ١٥٢ – ١٤٥ – ١١٢ – ٦٨ – ٢١٢ – ١٥٣ – ١٤٩ – ٦٥ – ١٤٢ – ٢٣٠ – ١٨٦ – ١١١ – ١٥١ – ١٤٨ – ١ / ١٨٢ .

– تفتقر النصوص الشعرية إلى التشكيل وخاصة المفردات التي يتوجب إيضاح المعنى ضبطها . نعم هناك تشكيل ولكنه قليل وليس في المواضع الضرورية . وهناك العديد من الأخطاء النحوية منها لفظة ( حسام ) في الشطر الثاني من البيت ٨ في ١ / ٤٤ فقد حركت بالرفع والمعنى يقتضي نصبها مفعولاً به ، وهي في العسجد منصوبة . ولفظة ( وشم ) في صدر البيت ١٨ في ٢ / ٢٣٢ فقد شكلت الشين بالكسر والميم بالسكون ، وكأنها فعل أمر ، وبهذا التشكيل لا يستقيم وزن البيت والصحيح " وشم " بضم الشين وكسر الميم المشددة جمع أشم وكذلك يقتضي المعنى .

ومن ذلك ضم الفعل " تضبح " بعد لا الناهية في آخر بيت ١ / ١٢٩ والصحيح " لا تضح " لأن الفعل مضعف الحرف الثاني بدليل قوله :

..... فقلـــــــت لا تضـــجّ وبـــادر نحـــو كـــل منـــافق

وفي حاشية ٣٠٧/١ " ولم أتحقق كلا اللفظتين " والصحيح " كلتا " وهناك بعض هنات عروضية ، من ذلك عدم تدوير الأبيات ١٠– ١١ – ٢٢– ٤٢ في ٢ / ١٣٧ والبيت ٢٧في ٢ / ١٧٢ ، وزيادة في البيت الثالث المدور ١/ ٢٨٧ وعدم تنوين لفظة ( خنائس ) في البيت السابع ليستقيم الوزن ١ / ٣٠٦ .

– الملاحظ أن الأخ المصحح لم يول كتاب العقود الاهتمام المطلوب لإخراجه بالشكل العلمي المنتظر ، وأنه لم يبذل فيه ما بذله في إخراج كتاب السلوك للجندي والقرة لابن الديبع . فهو في الكتاب الأخير – على سبيل المثال – يعرف بالأعلام والأماكن ، ومن ذلك تعريفه بالحوبان وذخر وعيذاب والفخرية ، وكذلك معاني بعض المفردات مثل لفظة العوارين إذ قال : إنهم الفتاك واللصوص ٢ / ٧٣ كما عرف

بالشاعر عبد الله بن جعفر ٢ / ٥٧ والأعشى في ٢ / ٩٤ وتيمورلنك في ٢ / ١٠٨ ، ومثل هذا لم يفعله في " العقود " حين تمر أسماء الأعلام والمواضع . وكذلك الأمر بالنسبة لمفردات كثيرة مثل العوارين ، درانك ، الحرافيش ، الجامكية .... التي شرحها وشرح أمثالها في السلوك ١ / ٥١٥ قائلاً : " المرتب الشهري والكلمة من الدخيل ، وشرح الجندارية في السلوك ١ / ٤٩٣ قائلاً : ألقاب عسكرية " وغير هذا كثير .

– من يقارن بعض تصحيحات الطبعة الثانية بالطبعة الأولى يجد على سبيل المثال : في ٢ / ٢٣ السطر الأخير من الطبعة الثانية لفظة " الجدابي " وما في الطبعة الأولى ٢ / ١٤ " الجدائي " وهو الصحيح بدليل ما ورد بعده في قول المصنف : نسبة إلى صقع من الحبشة يقال له جداية بكسر الجيم ودال مهملة وألف بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وآخرها هاء . وفي ٢ / ٦٦ يتابع المصحح الثاني المصحح الأول ٢ / ٧١ في كتابة نص نثري وكأنه بيت شعر ثم يوضح ذلك في الحاشية ، ولا داعي لمثل هذه المتابعة العقيمة . وكذلك الحال حين يكتب بيت المتنبي في ٢ / ١٥٥ دون تدوير متابعاً بسيوني في ٢ / ١٨٢ . وفي ٢ / ١٧١ البيت الثاني زيادة " على " قبل القافية دون تصحيح متابعاً بسيوني في ٢ / ٢٠٢ . وفي ٢ / ١٩١ السطر الأخير " التزموا بما التزمت وكونوا ... أو كالبنيان ، وكالبقرة الواحدة في الأديان " وقد تابع في لفظة " البقرة " العسجد ٤٦٨ دون إشارة ، واللفظة في الطبعة الأولى " كالنعرة " وربما كانت هي الأصح في سياق المعنى العام للنص . وفي ٢ / ٢٥٥ لفظة " غلا " في البيت ١٦ وبهذا الرسم يكسر الشطر : فلو جاز أن تفدي لما غلا الفدى .... وفي الطبعة الثانية ٢ / ٢٥٥ " غليّ " وبهذا الرسم يستقيم وزن الشطر.

ويلاحظ أن بعض حواشي الطبعة الثانية لا يميزها المصحح عن حواشي الطبعة الأولى من ذلك : في ٢ / ١٢ يقول المصحح الأول في الحاشية : كذا في الأصل من غير نقط . وفي ٢ / ٢٢ تأتي حاشية المصحح الثاني هكذا : كذا في الأصل من غير نقط وكذا في العسجد . ومن لم يطلع على الطبعة الأولى يبدو له أن هذه الحاشية كلها للمصحح الثاني . ونقرأ في حاشية ٢ / ٢٤ قول المصحح الثاني : كذا في الأصل ولعله جد المذكور أولاً " ونرجع إلى النص في الطبعة الأولى ٢ / ١٥ فلا نجد حاشية ، وهذا يعني أن المصحح الثاني يطلق لفظة " الأصل " فتدل مرة على طبعة بسيوني وتدل ثانية على الأصل المخطوط في حين لا يتوفر هذا الأصل لدى المصحح الثاني . مع العلم أن هناك لفظة في هذا النص لم يوردها المصحح الثاني ، ومثل هذا نجده في الصفحات ٢ / ٣٨ – ٣٩ – ٦١ في الطبعة الثانية ويقابلها في الطبعة الأولى ٢ / ٣٤ – ٣٥ – ٦٥ . وفي ٢ / ١٧٧ يقول المصحح الأول في الحاشية ( ما هنا ممحو في الأصل ) وهذا الممحو نجده موضحاً في الطبعة الثانية ٢/ ١٥١ دون أن يشير المصحح الثاني في الحاشية إلى مصدر هذه الزيادة !

- لقد كانت هذه الطبعة بحاجة ماسة إلى مراجعة دقيقة ليصار بعدها إلى وضع فهرس بالخطأ والصواب ، لتكون صورة الإخراج أبعد كمالاً ، وليضاف فهرس واحد في الأقل لفهارس الطبعة الأولى .

وبعد : فهذا الذي تقدم من ملاحظات ، لا يقلل من قيمة الجهد المبذول في إخراج هذا الكتاب ووضعه بين أيدي الدارسين ومحبي التاريخ والأدب الذين سيعجبون بجهد أدق وأكبر بذله المصنّف الخزرجي وهو يصوغ عقوده الفريدة ليخرج القارئ وقد نهل ألواناً معرفية عنيت بشؤون السياسة والأدب والاجتماع . وسيظل واحداً من أهم مصادر الدراسات التاريخية والتراثية في حقبة زاهية من تاريخ اليمن في عصره الوسيط .

المصادر والمراجع والحواشي

(١) في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط . دار الفكر ٧ / ٩٧ " علي بن الحسين " ولقب بشمس الدين بدل موفق على غلاف العسجد المسبوك والصفحة بعده المطبوعتين ، وهذا وهم .

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ط . مكتبة الحياة ببيروت ٥ / ٢١٠ والمصدر السابق كذلك .

(٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن الخزرجي . ط . دار الآداب بيروت ١٩٨٣م ٢ / ٢٥٠ .

(٤) الضوء اللامع والشذرات .

(٥) العقود ١ / ١١ .

(٦) المصدر السابق ١ / ١٠ .

(٧) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن بن الديبع ط . السعادة ٢ / ١٨ وما بعدها .

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت ٣ / ٢١٤ .

(٩) الأعلام ، الطبعة الثالثة ٥ / ٨٣ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي . عصر الدول والإمارات . ط . دار المعارف بمصر ٥ / ٨٦ .

(١١) العقود ٢ / ١١ . النجر : الأصل .

(١٢) كذلك ٢ / ١٤٩ .

(١٣) في العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك لأبي الحسن الخزرجي . مخطوط . صوّرته وزارة الإعلام والثقافة في الجمهورية اليمنية وصدّر بمقدمة سنة ١٩٨١م ٣٩٩ ( سنينة ) وفي ثغر عدن لابن أبي مخرمة ط . دار الجيل ببيروت ودار عمان بعمان ٥٣ شنينة .

(١٤) العقود ٢ / ٩٢ .

(١٥) كذلك ٢ / ٢٥٠ .

(١٦) كذلك ٢ / ١٧١ .

(١٧) الشذرات ٧ / ٩٧ والضوء اللامع .

(١٨) الأعلام ٥ / ٨٣ .

(١٩) مقدمة الناشر ج .

(٢٠) كذلك .

(٢١) مقدمة " لباب الآداب " للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح . طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٧م .

(٢٢) مقدمة كتاب غرر البلاغة للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح ، طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٨م ١٧ .

(٢٣) العقود اللؤلؤية ٢ / ٢٦٠ .

(٢٤) كذلك ١ / ١٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ١ / ١٠ .

(٢٦) الضوء اللامع ٥ / ٢١٠ .

(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٢١٤ .

(٢٨) الأعلام ٥ / ٨٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٢١٤ .

(٢٩) العقود ١ / ١٠ .

(٣٠) كذلك ٢ / ٢٦٢ .

(٣١) الأعلام والعقود ١ / ١٠ .

(٣٢) العقود ١ / ١٠ .

(٣٣) كذلك ١ / ١٠ – ١١ .

(٣٤) العقود ١ / ٢٠ – ٢١ .

(٣٥) العقود ١ / ١٤ – ١٥ .

(٣٦) العقود ١ / ٥٦ .

(٣٧) العسجد ١٩٠ .

(٣٨) العقود ١ / ٣٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ٢ / ١٦ وينظر ١ / ٤٦ .

(٤٠) تنظر على سبيل المثال العقود ١ / ٥٤ – ٧١ – ١١٧ – ١٢٧ – ٣٥٥ وغيرها .

(٤١) كذلك ١ / ١٣٤ – ١٣٥ .

(٤٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ط . أولى نشر وزارة الإعلام والثقافة اليمنية ١٩٨٣م ١ / ٤٩٩ – ٥٠٠ وينظر ١ / ١٤٨ من العقود و ١ / ٥٥١ من السلوك . وفي غير هذين الموضعين .

(٤٣) العقود ١ / ٤٦ – ٢٩٠ .

(٤٤) كذلك ١ / ٣٤ وفي مواضع أخرى .

(٤٥) عصر الدول والإمارات ٥ / ٨٦ .
(٤٦) العقود ٢ / ٣٧ .
(٤٧) المصدر نفسه ١ / ٣٤٥ ، ٢ / ١١٧ – ١٥٥ .
(٤٨) كذلك ٢ / ٦٥ .
(٤٩) كذلك ٣ / ٢١٣ .
(٥٠) نفسه ١ / ٢٥٠ – ٣٤٢ – ٥٣٢ .
(٥١) كذلك ١ / ١٢١ – ٢٣٩ – ٢٤٠ ، ٢ / ٣٩ – ١٢١ – ١٦٧ – ١٩٦ – ٢٥٠ .
(٥٢) كذلك تنظر على سبيل المثال الصفحات ١ / ٢٨٣ – ٢٩٤ – ٢٩٥ – ٢٩٦ – ٣٠٥ – ٣١٧ .
(٥٣) نفسه ١ / ١١٥ .
(٥٤) كذلك ١ / ٢٨٢ .
(٥٥) كذلك ١ / ٢٥٩ .
(٥٦) كذلك ٢ / ١٨٢ .
(٥٧) كذلك ١ / ٢٥٨ .
(٥٨) كذلك ٢ / ١٨٨ .
(٥٩) كذلك ٢ / ٦١ .
(٦٠) كذلك ٢ / ٧٠ .
(٦١) كذلك ١ / ٢٥١ و ٢ / ١١١ .
(٦٢) كذلك ١ / ٢٦٨ و ٢ / ٩٠ .
(٦٣) كذلك ٢ / ٧٠ .
(٦٤) كذلك ٢ / ١٨٥ .
(٦٥) كذلك ١ / ١١٩ .
(٦٦) كذلك ٢ / ٢٥٨ .
(٦٧) كذلك ١ / ١١٤ .
(٦٨) تنظر الصفحات ١ / ٥١ – ٢٤١ – ٢٦٨ ، ٢ / ١١١ .
(٦٩) ١ / ١٦٤ .
(٧٠) كذلك ١ / ٥٩ .
(٧١) ١ / ٣٠٣ .
(٧٢) ٢ / ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٧٣) ١ / ٢٣٣ – ٣٠٤ ، ٢ / ٥٧ – ١٠١ .

(٧٤) ٢ / ١٦٧ .

(٧٥) ١ / ٧٨ .

(٧٦) ١ / ١٠٤ .

(٧٧) ١ / ١٦٨ .

(٧٨) ينظر ١ / ١٠٥ – ١٢٧ – ٣٣٥ و ٢ / ١١٧ .

(٧٩) ينظر ١ / ٦٠ – ٦١ – ٧٥ – ١١٨ – ١١٩ – ١٢٠ – ٣٣٦ .

(٨٠) تنظر الصفحات ١ / ٢٦ – ٢٧ – ٢٩ – ٣٢ – ١٠٣ – ١١٧ – ١٨٦ – ٢٣١ و ٢ / ٧٤ – ١٩١ – ٢٠٤ .

(٨١) ينظر فهرس الكتب ٢ / ٣٩٣ .

(٨٢) ٢ / ١٦٠ .

(٨٣) ينظر كتابه " عصر الدول والإمارات " ٥ / ١١٢ – ١١٣ – ١١٤ – ١١٥ – ١٢٧ – ١٢٨ .

(٨٤) ١ / ١٢٣ – ٢٣٣ و ٢ / ٥٧ .

(٨٥) ١ / ١٤١ – ٢٨٥ .

(٨٦) ١ / ٣ .

(٨٧) ٢ / ٨٤ .

(٨٨) ١ / ٢٤٦ و ٢ / ١٠١ .

(٨٩) ١ / ١٣٤ – ٢٠٨ – ٢٣٣ و ٢ / ١٠١ – ١٠٧ .

(٩٠) ١ / ٢٠٦ .

(٩١) تنظر على سبيل ١ / ٨٣ – ٣١١ – ٣١٣ – ٣٥٨ و ٢ / ٦٤ – ١٠٦ .

(٩٢) ينظر على سبيل المثال ١ / ٤١ – ٥٤ – ٧٢ – ١١٢ – ١١٦ ...

(٩٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الأوربية ١ / ٧ .

(٩٤) ١ / ٢٠ .

(*) الأرقام العربية . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٩٨٢م ص ٩ .

(٩٥) ١ / ٢١ .

(٩٦) ١ / ٢٤ .

(٩٧) ١ / ٢٨ .

(٩٨) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٧ .

(٩٩) ١ / ٢٣٢ .
(١٠٠) ١ / ٣٤ .
(١٠١) ١ / ٤٧ – ٤٨ .
(١٠٢) ١ / ٥٦ .
(١٠٣) (١٠٤) ١ / ٢٣٨ .
(١٠٥) ٢ / ٢٤٠ – ٢٤١ .
(١٠٦) ينظر العسجد ، ٤٣٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ .
(١٠٧) نقلاً عن العقود ١ / ١٠ .
(١٠٨) العقود اللؤلؤية ٢ / ١٩٧ .
(١٠٩) ٢ / ١٧١ .
(١١٠) (١١١) ٢ / ١٣٦ .
(١١٢) ٢ / ٢١٠ .
(١١٣) الضوء اللامع ٥ / ٢١٠ .
(١١٤) العقود ١ / ٢٣١ .
(١١٥) ١ / ٤٠ .
(١١٦) ١ / ٨١ .
(١١٧) ١ / ٥١ .
(١١٨) ٢ / ٢٥٠ .
(١١٩) ١ / ٢٥٨ .
(١٢٠) ٢ / ٦٥ .
(١٢١) ٢ / ١٥٣وينظر ٢ / ٦٧ – ١١٤ – ١٢٩ – ١٤٤ – ١٤٦ – ١٥٢ – ١٥٣ .
(١٢٢) ١ / ٢٤٩ .
(١٢٣) ٢ / ٧٧ .
(١٢٤) ١ / ٦٣ .
(١٢٥) ٢ / ٦٣ .
(١٢٦) لباب الآداب ٢ / ٤١ .
(١٢٧) ٢ / ٣٥ .
(١٢٨) ٢ / ٣٩ .
(١٢٩) ٢ / ٥٢ .

(١٣٠) ٢ / ٧٠ .

(١٣١) ٢ / ١٠٠ .

(١٣٢) ٢ / ٣٧ .

(١٣٣) ٢ / ٢١ .

(١٣٤) تنظر ٢ / ١٦ – ١٢٣ – ١٤٨ – ١٤٩ وغيرها كثير .

(١٣٥) تنظر ٢ / ١٩٤ – ١٩٥ – ١٩٦ .

(١٣٦) ينظر ١ / ٧٨ – ٢٥١ – ٢٦٦ – ٢٧٧ – ٢٨٣ ، ٢ / ٨٣ .

(١٣٧) ينظر ١ / ٣٨ – ٩٠ – ٢٤٣ – ٢٧١ – ٣٨٤ و ٢ / ٤١ .

(١٣٨) ١ / ١٤١ – ٢٣١ .

(١٣٩) شذرات الذهب ٧ / ٩٧ .

(١٤٠) تنظر الصفحات في العقود ١ / ٤٣ – ٤٤ – ٤٥ – ١٨٦ – ١٨٧ – ٢٢٩ – ٢٣٠ – ٢٣٦ – ٢٣٧ – ٢٣٨ – ٢٥١ – ٢٥٢ – ٢٥٤ – ٢٦٤ – ٢٦٦ – ٢٧٢ – ٢٧٧ – ٢٨٣ – ٢٨٩ – ٢٩١ – ٣٠٥ – ٣١١ – ٣١٥ – ٣٣٠ – ٣٥٨ ، ٢ / ٣٦ – ٦٦ – ٧٤ – ١٠٦ – ١١٤ – ١٣٦ – ١٩١ – ١٩٧ – ٢١٠ – ٢٦٠ – ٢٦١ وتقابلها الصفحات في العسجد على التوالي نفسه ١٨٦ – ١٨٧ – ١٨٧ – ٢٥٧ – ٢٥٨ – ٢٦٩ – ٢٦٩ –٢٧٤ – ٢٧٤ – ٢٧٥ – ٢٨١ – ٢٨١ – ٢٨٢ – ٢٨٣ – ٢٨٨ – ٢٩٠ – ٢٩١ – ٢٩٣ – ٢٩٣ – ٢٩٤ – ٢٩٧ – ٣٠٠ – ٣٠٣ – ٣٠٥ – ٣٠٩ – ٣١٣ – ٣١٥ – ٣٢٤ – ٣٣٤ – ٣٥٥ – ٣٧٩ – ٣٨٤ – ٤٠٧ – ٤١٢ – ٤٣٣ – ٤٣٤ – ٤٦٨ – ٤٧٢ – ٤٧٣ – ٤٧٨ – ٤٧٩ – ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(١٤١) ديوان الفرزدق / شرح علي فاعور . ط. دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٧ – ٢ / ٤٨٩ .